دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلسَّابِعُ وَالعُشرُونَ)

سُورَةُ الأَعْرَافِ

مِنْ أَوَّلِ ٱلسُّورَةِ إِلَىٰ الآيَةِ ﴿١٣٧﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ٢٧ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٣/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في هذه السورة المباركة (سورة الأعراف) - وهي من أطول السور في القرآن الكريم - مواضيع متعددة، وهامة، ومواضيع وكأنها تقدِّم سُنناً، أو تبيِّن سُنناً إلهية.

تصدَّرت هذه السورة بأحرف مقطعة: (ا، ل، م، ص) تقدَّم الحديث حول هذه في (سورة البقرة) وكما يقول الإمام القاسم بن إبراهيم: بأن هذه السور التي تبدأ بأحرف على هذا النحو، أنها سور يكون فيها من مكنون العلم، أي: من الأسرار التي عبَّر عنها بمكنون العلم.

في المقدمة يأتي الحديث عن هذا الكتاب العظيم: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾(الأعراف:٢) وعندما يتصفح الإنسان سور هذا الكتاب العظيم يجد فعلاً أنه عظيم وحكيم، أنه اشتمل على أخبار الماضين، وأنباء الآتين من الناس، كما قال الإمام علي عليه السلام فيما رواه عن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ((فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم)).

﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾(الأعراف:٢) لأن المهمة كبيرة، مهمة كبيرة؛ ولهذا في آية أخرى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(المزمل:٥) عظيماً، مهمة كبيرة، ومهمة واسعة، ولكن لا يكن في صدرك حرج فتظن أننا كلفناك بالشيء الذي لا تطيق أن تنهض به؛ يأتي العون الإلهي، والتأييد الإلهي، والهداية المستمرة، والمتابعة المستمرة لحركتك في تبليغ هذا الكتاب، فلا تشعر بحرج منه، وهذا من الأشياء العجيبة، مما يدل فعلاً على أن هذا الدِّين العظيم لم يأتِ بالشكل الذي يكون فيه حرج للناس، كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(الحج:٧٨).

فإذا كانت هذه المهمة الكبيرة الواسعة التي تُوكَل إلى شخص واحد هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفي نفس الوقت يقول: لن تكون في حرج ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ تشعر بثقل، تشعر وكأن هذا الموضوع فوق طاقتك.

فعندما نأتي نحن بعد، والكثير من قبلنا يحصل لديهم نظرة إلى بعض الأشياء في هذا الدِّين، بعض ما وجَّه لنا القرآن الكريم، وكأنها أشياء فيها حرج، وأشياء ثقيلة، وأشياء شاقة، وأشياء من هذه، وهي بالشكل الذي يُوكَل الخطاب فيها إلى أمة، لم يُوكَل الخطاب فيها إلى شخص مُعيَّن، مثل موضوع الجهاد في سبيل الله، وأن يكونوا قوامين بالقسط، ألم يأتِ الخطاب لمجاميع من المؤمنين؟ ومع هذا يعتقد الكثير بأن هذه القضية فيها حرج، فيها مشقة، فيبحث عن كيف يبرر لنفسه ألاّ ينطلق في هذا الموضوع! مع أننا وجدنا فعلاً بأن هذا الكتاب الواسع بكله، كتاب واسع جداً، ومهمة كبيرة جداً وُجِّه بالقيام بها والنهوض بها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) شخص واحد، ومع هذا يقول له: اطمئن، لا يحصل عندك حرج ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ بمعنى ماذا؟ أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤيد ويعين.

هذه من المفارقات العجيبة، ومما يدل على أنه حصل فعلاً لدينا فهم للدِّين بشكل آخر، ومن الأخطاء التي ربما رسَّخت هذا الشيء محاولة البعض لتعريف الدِّين بأنه: تكليف، ثم تعريف التكليف بأنه: توجيه يُتوخى فيه المشقة، من التعريفات التي حصلت: تكليف يُتوخى فيه المشقة، المطلوب فيه أن يكون شاقاً؛ ليتبين - هكذا يقولون: - ليتبين من هو الذي سيتحمل هذه المشاق فيؤجَر وترتفع درجاته، ومن هو الذي يفشل فلا يتحمل هذه المشاق! هذا التعريف خاطئ بشكل رهيب جداً، وترك عند الناس نظرة إلى هذا الدِّين وإذا به كأنه حمل ثقيل، وكأن بعضاً منه أو أجزاءً منه تُعتبَر ثقيلة وحرجاً النهوض بها والتحرك في أدائها، مع أنه بكله وهو موجَّه إلى شخص واحد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول له: ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ لِّتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف:٢) هنا المهمة الرئيسية، وأحياناً تأتي العبارات مختلفة في بعض الآيات أحياناً يقول: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(البقرة:١١٩) وأحياناً يأتي بشكل آخر.

هنا تجد في السورة أشياء كثيرة مما تُعتبَر نُذُراً، عندما يسرد قصصاً بدءاً من آدم، ثم نوح ومِن بعد نوح، أليس هذا يعني أن هذه السورة مليئة بالإنذارات، والحديث عن جهنم، الحديث عمّا سيقول أهل النار، ما سيقول المكذبون بآيات الله، والمستكبرون عنها؟ فهي مليئة بالإنذارات، وهذا القرآن هو نذير وبشير وهدى وتشريع، كل شيء داخله، كل شيء فيه.

تجد أن الموضوع كله يتمحور حول الكتاب، حركة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مهمته تتمثل في هذا الكتاب، ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ تتحرك على أساس هذا الكتاب؛ لتنذر به، أليس هكذا الآية واضحة: ﴿لِّتُنذِرَ بِهِ﴾؟

هذه للأسف مما غيِّبت في تاريخ المسلمين، وقدَّموا الإنذارات بطرق أخرى لم تترك أثراً إيجابياً، بل تركت آثاراً سلبية كما نقول كثيراً حول ما تتضمنه كتب (الترغيب والترهيب) أن من المهام الرئيسية للقرآن الكريم هو الإنذار به، مهمة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن ينذر الناس به، وهو من جهة نفسه إنسان بليغ، إنسان قدير على التحدث، لكن يجب أن يتحرك في إطار هذا القرآن فينذر به؛ لأن القرآن هو أبلغ موعظة؛ ولهذا قال الله فيه في آية أخرى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الحشر:٢١).

حصل عدول عن القرآن الكريم في موضوع ما نسميه مواعظ (ترهيب وترغيب) إلى كتب أخرى مليئة بحكايات عملها أناس، مليئة بأحاديث لم يدققوا حتى في أسانيدها باعتراف أهل هذا الفن، أنهم يقولون إنهم لا يتقصون في أسانيد أحاديث (الترغيب والترهيب) على أساس أنها تترك (أثر باهر) ترغّب الناس في طاعة الله، وتخوِّفهم من عذاب الله، ويحصل عند الإنسان خوف من أن يدخل في معصية، وأشياء من هذه، لكن قدَّموا مفاهيم أخرى رهيبة جداً، نظرة إلى الدِّين قاصرة جداً، نظرة إلى هذه الحياة، نظرة إلى الحياة الآخرة، نظرة إلى دور الإنسان في هذه الحياة نظرة قاصرة جداً ومتنافية مع ما يريد القرآن الكريم أن يتركه في نفوس الناس من أثر، بل قُدِّم من خلالها موضوع الخشية بشكل آخر غير الخشية في القرآن.

في القرآن يتركز موضوع الخشية: أن الخشية من الله، من الله، فيأتي إلى آيات كثيرة جداً تتحدث عن معرفة الله سبحانه وتعالى؛ ليعرفه الإنسان فيخشاه، في الوقت الذي يحبه ويجله ويقدسه ويعظمه. في كتب (الترغيب والترهيب) قُدِّم موضوع آخر هو الخشية من النار، وهناك فارق كبير جداً في الموضوع؛ لأنه ممكن أن يحصل عندك خشية من النار من خلال هذا المنطق الذي يرسِّخ لديك موضوع النار فقط دون أن يُقدِّم في نفسك ما يجعلك تخشى الله هو؛ ولهذا جاء في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر:٢٨) أي: العارفون به، فيأتي موضوع النار بكله، موضوع آيات الوعد والوعيد، إنما هي جزء من موضوع معرفة الله؛ لتخشى الله باعتبار أنه هو الذي بيده الجنة، وبيده النار.

وعندما تكون أنت متوجِّهاً إلى الله سبحانه وتعالى، متوجهاً إليه، وتعرفه، لا تحصل القضية فقط مجرد خشية، بل يأتي أيضاً حب له، وتعظيم له، وحرص على رضاه؛ فيكون تعاملك معه، في هذه الحالة ستحصل تلقائياً على ما يقيك من النار، الإنسان بطبيعته إذا خُوِّف بشيء فإنه يخاف إذا خُوِّف بجهنم، ولجانب جهنم دور كبير جداً في التخويف، لكن لم يُقدِّم موضوع التخويف بجهنم مجرداً عن موضوع ربط الإنسان بالله؛ ولهذا قلنا: إنه مما تميز به القرآن الكريم أنه يُقدِّم آيات الوعيد في إطار عملي، هذه التوجيهات العملية تأتي من جهة الله، ودائماً ترى السور فيها الكثير من الآيات التي تذكُر ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى: ملكه، ألوهيته، علمه، قدرته، أشياء من هذه، هي آيات في معرفته.

فمن الآثار لآيات الوعد والوعيد هو ماذا؟ أن تعرف الله أنه هذا هو الله الذي بيده الجنة، بيده النار، بيده الثواب، بيده العقاب؛ فتتوجَّه أنت إليه، فتبحث عن رضاه، ويَعظُم في نفسك، هنا ستسير بطريقة صحيحة، وهو الشيء الرئيسي في القرآن الكريم. لم تُقدَّم آيات الترغيب والترهيب بمعزل عن آيات معرفة الله، وبمعزل عن التوجيهات العملية، أبداً، كتب (الترغيب والترهيب) في الغالب تقدِّمها هكذا بصورة مستقلة: حديث حول الجنة، وحديث حول النار، لا يأتي في إطار الحديث حول الله سبحانه وتعالى، فتقدَّم ضمن معرفته؛ لأن من أسمائه سبحانه وتعالى - عندما نقرأ قول الله في سورة (الحشر): ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ أليس الجبار؟ ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾(الحشر:٢٢، ٢٣) - من أسمائه: الجبار، مما يذكره سبحانه وتعالى أنه ينتقم، أنه يبطش ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾(البروج:١٢) ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي﴾ هنا أليس يُقدِّم "جهنم حقه"؟[1] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾(الحجر:٤٩، ٥٠) لِيَعظُم في نفسك الله.

تخاف لعدة أشياء يقدمها، لكن يتوجه الخوف ممن؟ منه هو، تخشاه هو، هذه هي القاعدة الصحيحة؛ ولهذا نجد بأنه حصل من الأشياء التي تُعتبَر غريبة، في كتب (الترغيب والترهيب) تُرفَق بأشياء في مجال الترغيب حسنات بكميات كبيرة جداً، فترى أشياء هناك تخيفك (جهنم) وترى هناك كميات كبيرة من الحسنات، ترى بأنه يمكن أن تمشي في هذه الحسنات تجمِّعها وتصرف عنك جهنم، وإذا بذهنك يدور بين النار، والنار

(١) حقه: من اللهجة العامية، وتعني: مِلْكٌ له.

هي خطيرة، وكل إنسان يخاف منها، وهناك كميات كبيرة حسنات من أعمال مُعيَّنة، تكاد تكون في ذهنيتك مفصولاً عن الله، مع أن هذه الآية لاحِظ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أليس هنا يتحدث عن نفسه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾؟

فالإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الأساسي، الإنذار من القرآن الكريم هو الشيء الذي له إيجابية كبيرة جداً، ولا يحصل معه سلبيات؛ لأنه يشدك في نفس الوقت إلى الله سبحانه وتعالى. جاء بكلام كثير حول يوم القيامة لكن أليس يذكر فيه أنه الذي سيجمع الناس، سيحشر الناس، سينبئهم بما كانوا يعملون، أنه هو الذي سيجازي، أنه هو الذي سيُدخِل من أدخل الجنة، وسيُدخِل من أدخل النار؟ أليس يَنسِب هذه الأشياء كلها إليه؟ لئلا تنظر إليها منفصلة عنه.

وموضوع الترغيب والترهيب واسع جداً في القرآن، موضوع واسع جداً، لا نحتاج معه إلى الأشياء الأخرى، (تصفية قلوب) و(إرشاد قلوب) وأشياء من هذه، وعناوين أخرى، لا نحتاج إليها.

القرآن هو الذي يُصفِّي القلوب حقيقة، ويعرف الإنسان من خلاله كيف يكون توجهه، كيف تكون نظرته، كثير ممن قرؤوا كتب (الترغيب والترهيب) تراه ليس لديه توجُّه إلى أن يجاهد في سبيل الله؛ لأنه ماذا؟ لأن هناك حسنات كثيرة، يغرف الواحد كم ما يريد دون أن يحاول أن يُدخِل نفسه في موضوع فيه مصاعب، وفيه خوف، وفيه سجون، وربما فيه قَتل.

إذاً هذه النظرة، وهذا الموقف موقف من؟ موقف من نفسيته فعلاً منفصلة عن الله، قُدِّم له الموضوع مجرداً هناك وحده، هناك نار، وهناك حسنات خذ لك كم ما تريد حسنات وستسير إلى الجنة، والنار تَسلَمها! لو أن الموضوع قُدِّم على النحو الذي قُدِّم في القرآن لكان الإنسان - وهو متوجِّه إلى الله سبحانه وتعالى - يحرص على أن يعمل الشيء الذي فيه رضاه مهما بدا شاقاً أمامه، فلماذا - مع أنهم قد قرؤوا أشياء كثيرة عن جهنم - لا يأتي لديه انطلاقة لأن يجاهد في سبيل الله ولو ضحى بنفسه؟! لا أعتقد أنه يوجد أحد ممن قرؤوا إلاّ وهم يقرؤون كتب ترغيب وترهيب بدءاً من (كنز الرشاد) و(شرح كنز الرشاد) و(تصفية القلوب) وكتب أخرى.

إذاً فهذه القاعدة المهمة: أن الله قال لنبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ويذكر بعد ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وليكون ذكرى للمؤمنين، تنذر به وتذكِّر به.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ﴾ وهذا تأكيد آخر ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف:٣) عندما تكون كلمة أولياء في زمن نزول القرآن الكريم، كان يتمثل أولياء بشكل ظاهر مثلاً أصنام، لا يزال هناك أولياء آخرون قدَّمهم أيضاً من البشر ممن كانوا يتخذونهم أولياء فيصدونهم عن سبيل الله، فكلمة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ تتناول من يتخذون الأصنام أولياء، وتتناول من يتخذون أناساً من البشر أولياء كيفما كانوا، أولياء من دونه، هناك فارق بين أولياء هم أولياء له، وفي طريقه؛ ليجعلوا الناس أولياء لله، لكن هنا يكون هناك أولياء من دون الله، الأولياء الذين من دون الله هم يصرفونك عن الله، ويبعدونك عن الله.

وقدَّم في هذه السورة وهو يعرِض قصص الأمم الماضية: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾(الأعراف:٧٥) كبار ووجهاء الناس، ترى كيف كانوا يبرزون صادين عن سبيل الله، والآخرون (الجماهير) قد اتخذوهم أولياء، فهنا أنذَر الناس بدءاً من أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يحذروا أن يتبعوا من دون الله أولياء بعد أن عرض عليهم كيف كان مصير أولئك الناس الذين اتخذوا الملأ الذين استكبروا من قوم نوح، أو هود، أو صالح (عليهم السلام) أو أيِّ أحد من الأنبياء الذين ذكرهم، كيف كانت عاقبتهم، وأنهم خسروا، أهلكهم الله وانتهوا بعقوبة شديدة.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف:٣) هنا تُقدَّم القضية في القرآن الكريم - كما نذكر أكثر من مرة - أنه في الواقع لا يوجد غير هذين الطريقين: إمَّا أولياء لله، أو أولياء لمن هم من دونه بدءاً من الشيطان، ألم يبدأ بالحديث عن الشيطان؟ الشيطان، ثم أولياء من كبار العشائر، ثم انظر كيف عاقبة من تولوهم. فالإنسان يكون مدققاً جداً في موضوع التولي، يعرف بأنه لا يخلو من واحدة من الحالتين: إمَّا أن يكون متبعاً لأولياء هم أولياء لله، أو أولياء من دونه، ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَم مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾(الأعراف:٤) هذه بداية الموضوع، يتحدَّث بأنه كم قد حصل مِن إهلاك لأمم ماضية، تأتيهم العقوبة الرهيبة في وقت استراحتهم، في الليل أو في وقت القيلولة، وهذا من أشد الأشياء عليك أن تأتيك العقوبة الشديدة في حالة ارتياح كما قال سابقاً: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا

﴿أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾(الأنعام:٤٤) فهنا كذلك أنه عندما تنزل عقوبة الله سبحانه وتعالى يلاحِظ الوقت؛ لأنه كما قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾(البروج:١٢) تكون العقوبة شديدة، ويختار الوقت الذي يجعل العقوبة شديدة بزيادة أكثر مما لو كانت في وقت آخر، ثم يُبيِّن بعد، سيبين بعد ما الذي أدى بهذه الأمم إلى أن تصل إلى هذا المصير السيئ فتنزل عليها عقوبة شديدة في أوقات استراحتها.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(الأعراف:٥) أمَّا الله سبحانه وتعالى - بشهادة من يهلكهم - فلا أحد يستطيع أن يقول بأن الله ظلمه، وسيتبين من خلال ما يعرضه من قصص الأمم السابقة كيف أنه كان يأتي الأنبياء بمنطق لطيف، وببينات واضحة، ويذكّرهم بالعقوبة، ثم تأتي العقوبة، فعرفوا فعلاً ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ وهذا من عدالة الله سبحانه وتعالى ورحمته أنه يُقدِّم للناس الأشياء الكثيرة حتى يشهدوا هم على أنفسهم فيما يأتي عليهم من عقوبات في هذه الدنيا أنهم هم الظالمون، ثم بَيَّن كيف أنهم يشهدون على أنفسهم في الآخرة أيضاً أنهم كانوا كافرين.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾(الأعراف:٦، ٧) في يوم القيامة كما جاء في آخر سورة (المائدة): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾(المائدة:١٠٩) سيسأل الله الرسل ويسأل المرسَل إليهم (الأمم) ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ على طول هذه المسيرة، مسيرة البشر، الإنس والجن في كيف كانت مواقفهم من دعوة أنبيائهم ﴿بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ لأنه شهيد على كل شيء ولا ينسى شيئاً.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾(الأعراف:٨، ٩) هنا الوزن المعنوي، الصالحون الذين استجابوا لدعوة رسل الله سيكون لهم وزن، لهم ثقل، ليس المعنى موازين مادية، يَزِنُون فلاناً ويَزِنون آخر، ويلاحظون الميزان أين سترجح كفته! هناك التقييم الحقيقي، ويتبيَّن فعلاً من له وزن، من له ثقل، والآخرون: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾(الكهف:١٠٥) ألم يقل هكذا عن الآخرين؟ الكافرين، والضالين.

ولاحِظ عندما تأتي الآيات متنوعة في أسلوبها حول موضوع جهنم، أو موضوع الجنة، أو يَعرِض شيئاً من صور الحشر أن الموضوع ثقل معنوي أو خفة معنوية، هذه من القضايا الرئيسية هنا في هذه الحياة، وعندما يأتي يذكر الأمم الماضية فيها الملأ الذين استكبروا، أصحاب وجاهة وثقل اجتماعي، هؤلاء سيكونون يوم القيامة خفيفين مثل الريشة ليس له وزن.

كذلك الأتباع أنفسهم عندما يريد أن يحافظ على أن يبقى له وزن ويبقى له ثقل، ويبقى له علاقة بهذا الشخص الكبير الذي يصد عن سبيل الله، هنا ينبه بأنه يجب على الإنسان أن يحرص على كيف يكون له وزن يوم القيامة، ليست قضية الوزن هنا أن تبحث عن كيف يكون لك وزن وثقل اجتماعي ولو بالصد عن سبيل الله، يذكر في آيات أخرى بأنه سيكون للمؤمنين وزن في هذه الحياة وفي الآخرة.

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ * وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ﴾(الأعراف:٨-١١) يبدأ يسرد للبشر هذا القَصص الهام الذي فيه عِبَر كثيرة جداً بدءاً من موضوع آدم وإبليس، وموضوع الملائكة.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(الأعراف:١٢) لاحِظ هنا هذه القصة ألم تأتِ شبه مختصرة في الموضوع هنا؟ لأنه قد يكون من الأشياء الرئيسية فيها موضوع الوزن، موضوع الثقل، الصورة هنا موضوع الثقل المعنوي الذي قد يكون في الواقع عندما لا يكون على أساس صحيح في الأخير يصبح لا شيء، إبليس هنا يَعتبِر لنفسه ثقلاً عندما قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ إذاً يعني ماذا؟ وزني ثقيل، أليس معناه هكذا؟ كيف أصبح هذا الوزن؟ أصبح لا شيء ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾(الأعراف:١٣) أليس هنا صَغار؟ وكان يظن أن وزنه ثقيل؛ لأنه خُلِق من نار وآدم خُلِق من طين!

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(الأعراف:١٤) هذا مما يكشف عداوة إبليس لله، وبالذات لبني آدم ﴿أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ على أساس أنه يريد أن يعمل ضد هؤلاء البشر؛ لأنه يعتقد بأن الذي أدى به إلى هذه الخسارة بعد المقام الذي كان هو فيه أن المسؤول عنه هو آدم، إذاً سيعمل ضد آدم، وفعلاً ألم يعمل ضدهم هو وزوجته ولم يكن هناك إلاّ هما؟ وعمل ضد أولاده ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أليس هذا يعني بأنها قد قُدِّمت أخبار كثيرة بالنسبة للملائكة، وممن قد اطّلع على الموضوع إبليس، حول مسيرة البشر، وحول أنه سيكون هناك يوم قيامة، وحساب وجزاء؟

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الأعراف:١٥،١٦) الطريق الذي أنت ترسمه - أليس هذا يعني عداوة لله وعداوة للإنسان؟ - صراطك المستقيم الذي ترسمه أنت ليسيروا عليه سأقف فيه لأصدهم عنه، أي: أن هذا هو الموضوع الذي سيركّز جهده عليه بالذات ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أناس قد صاروا ضالين فقط يحاول أن يحافظ على أن يبقوا على ما هم عليه، ويحركهم، وأشياء من هذه، يبذل كل جهده في الصراط المستقيم ليصد الناس عنه. عندما يقول هذه العبارة هو يعني ماذا؟ هو يعرف كيف سيكون الحق والباطل؛ لأنه لو لم يكن لديه معرفة للحق والباطل لَمَا عرف أن يصد الناس عن الحق.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ محتقراً، مطروداً ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(الأعراف:١٧،١٨) هذا مظهر من مظاهر غنى الله سبحانه وتعالى، هذا واحدة منها، ثم أيضاً بالنسبة للمؤمنين لن يكون له عليهم سلطان، وسيأتي فيما بعد: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:٢٧) إذا أنت شرير، وأنت سيئ، وأنت، وأنت، فاعمل بكيفك، واعمل بجهدك لن يتبعك إلاّ مَن هم جديرون باتباعك، من لا يصلح أن يكون لهم ولي إلاّ أنت، فعلاً لا يستطيع أن يصد مؤمنين عن دين الله، لا يستطيع ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(النحل:٩٩) وعرف هو الشيطان؛ ولهذا قال هناك في آية أخرى: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(الحجر:٤٠).

إذاً موضوع الشيطان من المواضيع أيضاً التي فيها مفاهيم قد تكون غير صحيحة فعلاً، أنه لماذا الشيطان؟! هل نتصور بأن هؤلاء الناس لولا الشيطان لكانوا ملائكة؟ برز من الإنس شياطين ألعن من الشيطان نفسه، ربما الشيطان يمكن أن يتعلم منهم في بعض القضايا! ليس معناه أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإنسان بالشيطان، وخلق الشيطان ليزعجه، ويصده عن سبيله، ويؤذيه...إلخ، لا، أولاً هو قال هناك: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ثم نفس ما يقدِّمه إبليس، هل إبليس يُقدِّم معجزات؟ هل هو يُقدِّم بينات واضحات؟ هل هو مثلاً يُقدِّم براهين تجذبك إلى طريقته؟ عندما تقارن بين ما يعمله إبليس وبين ما قُدِّم من جهة الله سبحانه وتعالى، تجد هنا رسلاً على مستوى عالٍ من الطهارة، والحرص على هداية الناس، والمؤهلات التي تجعلهم قديرين على أن يُبيِّنوا للناس، وبينات إلهية متكررة واضحة، بينات على أيدي رسله، معجزات، وبينات داخل كتبه، كذلك تكون شبيهة بالمعجزات فعلاً، بينات واضحة بشكل كبير.

إذاً من الذي سينصرف هناك فيمشي في طريق الشيطان، مع أن الشيطان لا يرسل أنبياء بمعجزات، ولا معه براهين على صحة طريقته، إنما فقط يوسوس؟! إذاً ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ فيجعله رمزاً للأشرار، فمن انصرف عن طريقة الله فلْيعلم ابتداءً بأن الشيطان سيكون وليه.

يُقدِّم الشيطان بأنه عدو، قد تكون هذه من الإيجابيات؛ لينشدَّ الإنسان إلى طريقة الله، أن يقول لك: الطريقة الأخرى على رأسها عدوك، عدوٌّ لك، هذا العدو دائماً يشتغل من أجل إضلالك، من أجل أن يصل بك إلى أحط مستوى في هذه الحياة فتشقى، من أجل أن يصل بك إلى قعر جهنم، فعندما يرسِّخ في نفوس الناس أن هذا عدو كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(فاطر:٦) على أساس أن هذه قد تصرفك فعلاً عن طريقة الشيطان؛ لأنك تعرف أن هذه الطريقة على رأسها الشيطان، والشيطان هو عدو، وهو خبيث، وكل ما يأمر به هو فحشاء ومنكر، كل ما يوجه به كله سوء، كله شر، ربما قد تنصرف عن طريقته لكراهيتك له، ولمعرفتك بأنه سيئ، فأن يكون على رأس طريق الشر، طريق الضلال، طريق الباطل، فهذه أيضاً تشكّل إيجابية للإنسان هو، إذا اتخذ هذا عدواً فستدفعه عداوته له إلى أن يبتعد عن طريقه.

وهذه قضية ملحوظة بالنسبة للناس، الإنسان الذي يعادي شخصاً آخر يحاول ألاّ يأتي إلى دكانه ليشتري منه، يحاول ألاّ يركب في سيارته أحياناً، أيَّ شيء حتى لو بنى مسجداً فلن يصلي فيه؛ لأنه يكرهه، ولا يعجبه أيُّ رأي من عنده، لو قدَّم رأياً سيذهب ليعارض هو حتى لو كان رأياً صحيحاً، لو كان رأياً صواباً، أليست هذه القضية معروفة: أن عداوتك لشخص مُعيَّن تكون عادة بالشكل الذي يصرفك عن الطريقة التي يسير عليها؟ فمن إيجابية أن يكون الشيطان موجوداً هي هذه: أن يكون علَماً لطريق الباطل، ويقول للناس هو عدو مبين، ويعرض عداوته بصور متعددة داخل القرآن، بدءاً من أيام آدم ومِن بعده، فإذا كنتَ تتخذه عدواً، وتعرف أنه عدو، فستبتعد عن اتباع خطواته، وتبتعد عن وساوسه، وترجع إلى طريقة الله سبحانه وتعالى.

الشيطان لا يكون معه سلطان، لا يقسر أحداً قسراً (يغصبه غصباً) على أساس أن يسير في طريقته، إنما وسوسة فقط؛ إذاً لا يؤثر الشيطان إلاّ في مَن؟ في مَن هم مبتعدون عن هدى الله، فيصبحون أولياء للشيطان، ويصبح الشيطان والشياطين من بعده أولياء لهم ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عندما تتأمل أن وجود الشيطان له إيجابية من هذه الناحية، الله هو رحيم بعباده، لو أن الشيطان بالشكل الذي لولاه لكانوا صالحين، لكانوا شبيهين بالملائكة لَمَا أوجده، لَمَا أنظره. فنجد طريقة الله سبحانه وتعالى أنه يأتي بالأشياء الكثيرة التي فيها هدى للناس.

إذاً طريق الباطل تحتاج إلى أن يكون على رأسها شخص يقال هو عدو لي، ودائماً يعمل ليضلني هنا، ويدعوني لأكون من أصحاب النار؛ إذاً سأكرهه، أعاديه، وبالتالي سأبتعد عن طريقته، أليست هذه إيجابية في الموضوع؟ ليست القضية (أن الله ابتلى الإنسان بالشيطان، ولولا الشيطان لكانوا سيصبحون باهرين) أبداً.

يُبيِّن أن الشيطان نفسه يخسر دائماً، يخسر هو، لاحِظ كم حاول في آدم وظل يتردد عليهم، وغرور، وأيمان فاجرة، وفي الأخير ما الذي حصل؟ حصلت نتيجة بأن خرجوا من الجنة، لكن غفر الله لهم وتاب عليهم، ورعاهم، ألم يخسر الشيطان هنا؟ يخسر، بل قالوا إنه يصيح عندما يستغفر الإنسان، عندما تحصل - مثلاً - منك خطيئة وتستغفر الله؛ لأنه يرى بأنه قد تعب كثيراً وهو يحاول أن يُدخِلك في معصية ثم لا يدري إلاّ وأنت تستغفر وتتوب إلى الله، وذهبت كل جهوده تلك سدىً.

في بعض الأدعية بهذا المعنى أنه لولا الشيطان استمالهم عن طاعتك، وكذا، لكانوا كذا، وكذا. هذه - أعتقد - بعيدة جداً لمن يتأمل القرآن الكريم بعيدة؛ لأنه هل معقول أن هؤلاء الناس لولا الشيطان لكانوا سيصبحون ملائكة؟ لَمَا خلق الله الشيطان، لَمَا أنظرَ الشيطان نهائياً، لكن هناك إيجابية لوجوده، ودائماً إذا كنتَ تفهم بأنه عدو فستبتعد، وهذه قضية فطرية عند الناس، أليست قضية فطرية؟ فطريق الحق يضع لها أعلاماً تحبهم وتتولاهم، يُقدِّم لك كيف أنهم حريصون عليك، رحماء بك، ألم يقل هكذا عن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة:١٢٨) هذا عَلَم لطريق الحق، أليس بالشكل الذي تحبه فتنجذب لطريقته؟ وهناك الشيطان نوعية سيئة، يقول لك: هو عدو مبين، يأمر بالسوء والفحشاء، وكله شر، ابتعد عنه، تعرف أنه هكذا، فعلاً يساعدك على الابتعاد عن طريقته.

عندما تهُم بالدخول في معصية، وتعرف بأن الشيطان الذي يحاول أن يدفعك إليها، ويوسوس لك، أو على أقل تقدير أن الشيطان سيرتاح، وأنت تعادي الشيطان فستبتعد عنها، لا يمكن عمل شيء يريح الشيطان الذي هو عدو، حتى لو لم يوسوس هو، لو لم يتدخل في القضية التي بخصوصها يوسوس لي وأنا أعرف بأنه سيرتاح جداً ويُسَرّ عندما أعمل معصية وهو عدو مبين سأبتعد عنها؛ لأغيظه، لئلا أدخِل السرور على قلبه.

تلاحظ كيف أنه من الأشياء العجيبة: أن الله يُقدِّم هداه بالشكل الذي لا يمكن لأحد أن يعيق عنه تماماً، إلاّ إذا كان هناك استجابة من جانب الناس هم لمن يعملون للصد عن سبيله ويشكّلون عوائق، إذا كان هناك استجابة من جهة أنفسهم هم، وإلاّ فلن يكون لأحد سلطان عليهم، لا الشيطان، ولا الملأ الذين استكبروا، ولا أعداء، أيُّ شيء آخر لا يمكن. هذه الطريقة ناجحة، يمشي من يمشي عليها، ويشق طريقه، ويجعل كل الأعداء بدءاً من الشيطان، وكل الموسوسين، وكل المنافقين، وكل المزينين، كلهم يتهمشون، كلهم يخسرون، إلاّ إذا كان لديك استجابة أنت؛ ولهذا كان يهلك الأمم التي يذكر بأن الملأ الذين استكبروا كانوا هم الذين ينطلقون ويصدون إذا كان الآخرون ماذا؟ يستجيبون لهم، الشيطان نفسه يستجيبون له وإلاّ فهو ليس بالشكل الذي يستطيع أن يصد الناس؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(النحل:٩٩، ١٠٠).

إذاً هذا موضوع الشيطان هنا باختصار قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ...﴾(الأعراف:١٢) إلى آخرها، وكيف انتهى به الموضوع فأصبح لا وزن له، ولن يكون له وزن، لا هو ولا من اتبعه، وهنا قال: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾(الأعراف:١٨) لن أجعل لك وزناً لا أنت ولا من اتبعك، وجهنم مكان الذين لا وزن لهم.

يأتي الكلام حول آدم: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ شجرة واحدة لا تقربوها ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(الأعراف:١٩) هنا يُبيِّن لنا من أول شيء بأن الشيطان الذي أقسم بأنه سيتحرك ليغوي، أن الله لا يترك الناس دون أن يُبيِّن لهم أن الشيطان عدو، ويُبيِّن لهم كيف يعملون، كيف يسيرون.

﴿وَ﴾ قلنا ﴿يَا آدَمُ﴾ هذا معناها ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أليس هذا بياناً؟ لا يقول بأنه يترك الإنسان ولا يُبيِّن له، ولا يهديه، لا يوجِّهه، ولا يأمره، ولا ينهاه، فيأتي الشيطان إليه فيخدعه، وهو كان من قبل فارغاً ليس لديه أيُّ توجيهات! هذه لا تحصل. الشيطان لا يستطيع إلاّ إذا حصل ثغرة من عندك أنت؛ ليكون له مدخل عليك، ربما يَضرِبك، ليس معناه أنه يأتي تقصير من جهة الله في موضوع التبيين في موضوع التوجيه فبسبب التقصير نفذ الشيطان إلى الناس.

هاتان الآيتان نفسهما، آية: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ وآية: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ تقدِّمان لنا نموذجاً بأنه هكذا سُنة الله سبحانه وتعالى يُبيِّن كمال التبيين، الشيطان امتنع عن السجود بعد أن أمره هو: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ آدم ارتكب الخطيئة هو، وزينها الشيطان له، بعد أن نهاه هو: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

لم يكن الخطأ الذي حصل من إبليس وكذلك الخطأ الذي حصل من آدم بسبب أنه حصل تقصير في تبيين الله، أو بسبب تقصير في هداه أبداً، هذه تَضرِب من يقولون: بأنه (نحن كُلفنا، ولم تأتِ أدلة تفيد العلم بما كُلفنا به، فما بقي إلاّ أن نعمل على حسب ظنوننا) لا توجد رؤية صحيحة. هذا يُبيِّن لك سُنة الله مع عباده، مع خلقه، أنه يُبيِّن على أعلى مستوى، ويوضح بالشكل الذي لا يبقى للإنسان عذر، ولا للشيطان نفسه عذر ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(ص:٧٥) ألم يقل له هكذا؟ في آية أخرى أيضاً ينبه آدم بـ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(الأعراف:٢٢) ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(الأعراف:١٩) الشيطان قد يحاول أن يحملكم على أكلها ويخرجكم من هذه الجنة فتشقى، هو لكم عدو مبين، أليس هذا تبييناً كاملاً؟ تبيين كامل، هذه هي سُنة الله في هداه، فمن أين جاءت بأنه (لا يوجد أدلة تفيد العلم) مع ما قد يكون ربما أرقى وسائل الهدى، أرقى، وأكمل، وأشمل، باعتبار سعة الحياة، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكتابه القرآن، ثم يأتي من بعد من يقول: (لا يوجد أدلة تفيد العلم، لا يوجد أدلة نعرف ماذا كُلفنا به)! أليس هذا يُعتبَر جهلاً فظيعاً جداً بسُنة الله سبحانه وتعالى في موضوع الهداية أنه يُبيِّن على أعلى تبيين؟

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾(الأعراف:٢٠) هو عارف أنه إذا نجح فستحصل عاقبتهم كذا وكذا، وهم قد أُفهِموا هم بأن الشيطان إذا غلبهم وأكلوا من الشجرة فسيخرجون من الجنة، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ وسوس، وهناك تبيين واضح، لاحِظ الفارق أليس هناك فارق كبير؟ لأن الخلل يأتي من عند الإنسان هو، هناك خِطاب إلهي واضح، وهناك: (فوسوس) ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ وليس لأنه يريد لهما نتيجة طيبة، هو يريد أن يشقوا، وهو عدو، قد عرف بأنهم فيما إذا أكلوا من الشجرة، فسيُطردون من الجنة، وتُنزع عنهم ملابسهم، هو حريص على أن يوقع الإنسان في هذا، حتى لو لم يكن لديه أنه قد يكون أيضاً من وراء ارتكاب هذه المعصية النار، لكنه يفرح بأيِّ شيء يشقيك، هذا عدو مبين يحاول أن يشقيك بأيِّ طريقة، ولو لم يكن إلاّ هنا في هذه الحياة.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(الأعراف:٢٠) ﴿إِلاَّ﴾ أي: لئلا ﴿تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٢١) هنا أيضاً قدَّم للناس من بعد آدم - بالنسبة لآدم "مشت عليه"[1] هذه الحيلة - بأنه هكذا تضليل إبليس، وكل من في خط إبليس، يأتي بعناوين جذابة، يأتي تحت أغطية يبدو وكأنها نصيحة، وخير، ومصلحة، وفي الأخير ﴿قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ بعد أن كَشف واقعه هو ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ واقعه هكذا ليس ناصحاً، ومع هذا يقسم لهم بأنه ناصح.

﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾(الأعراف:٢٢) والموضوع هذا يدل على أنه تردَّد عليهم كثيراً، كأنه ليس في حالة واحدة، عندما تُتابِع هذه القصة في أكثر من سورة، وكأنه تردَّد عليهم فترة وهو يحاول أن يخدعهم ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ دلاهم: قرَّبهم إلى أن يرتكبوا هذه الخطيئة بأشياء هي غرور، خداع.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(الأعراف:٢٢) أليس هذا تبييناً كاملاً واضحاً بعبارات واضحة تماماً؟ وقعوا فعلاً وقعوا في الشقاء الذي حذّرهم بأنهم إذا أكلوا من الشجرة فسيقعون فيه، أخرِجوا من الجنة، ونُزِعت عنهم ملابسهم، لم يبقَ لهم حتى ولا الملابس ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ يستران سوءاتهما.

---

(١) مَشَتْ عليه: انْطَلَتْ عليه.

هذا يُبيِّن بأن المعصية نفسها هي تحط حياة الإنسان إلى درجة تبدو وليس لها وزن، المعصية تُشقي الإنسان ليس فقط قضية العقاب الأخروي عليها، بل في الحياة هنا، في الحياة هنا، أن لمعاصي الناس أثراً سيئاً فيما يتعلق بشقاء الحياة، كما يأتي في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٤).

﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الأعراف:٢٣) لاحِظ هنا كيف وقعوا في الخطيئة، وتجلى لهم فعلاً بأنه جاء التقصير من عندهم، وهم الذين ظلموا أنفسهم، ليس عنده تقصير على الإطلاق، هذه تحكي سُنة: أن الإنسان هو الذي يظلم نفسه، سيأتي في آيات أخرى يُبيِّن بأنه هكذا، مثلما قال سابقاً بالنسبة للأمم: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(الأعراف:٥) أمَّا من جهة الله فلا يظلم أحداً، لا أمة ولا فرداً، هو غفور رحيم عندما رجعوا إليه تاب عليهم.

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(الأعراف:٢٤، ٢٥) هنا قدَّم نموذجاً، كيف أن آدم وزوجته عندما خالفا ما نهاهما الله عنه كيف أنهما وقعا في ماذا؟ في انحطاط بالنسبة لحياتهما، هذه لها علاقة بموضوع أول السورة، الوزن، وزن مادي، ووزن معنوي، عندما كانا في الجنة، أليس هذا يُعتبَر ثقلاً مادياً؟ ﴿فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(الأعراف:١٩) ملابس متوفرة، وأكل متوفر، ونعيم متوفر، ارتكبا الخطيئة فحصل هبوط في هذا الجانب، ألم يحصل هبوط: هبوط اقتصادي؟ أليسوا يعتبرون هذا؟ أليسوا يسمونها موازنة ويسمونها هبوطاً وصعوداً اقتصادياً؟ حصل هبوط، يخرجون إلى الوضع الآخر لهذه الحياة، ويكُدُّ، ويشتغل[1].

ربما كانت هذه الجنة ليستقر فيها هو وزوجته حتى يتكاثروا ويتفرعوا تلقائياً إلى باقي الأرض؛ لأنه هو وزوجته ليس لديهم قدرة على أن يعملوا ويتحركوا، تتوفر هذه الأشياء، وينجبون، ويفرِّخون في باقي الأرض، كأنها ليست الجنة الحقيقية (الجنة الموعودة للمتقين) بل جنة في مكان من الدنيا يستقرون فيها، وأصل مهمتهم ليس ليستقروا في تلك الجنة، بل مهمتهم استخلاف في هذه الأرض، لكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لهم مكاناً تتوفر حاجتهم فيه؛ لأنه لم يكن قد وُجِد إلاّ هو وزوجته، لم يكن باستطاعتهما أن يعملا شيئاً، لكن حصل منه الخطيئة فخرج، يخرج "يلهم الله"[2] يبحث كيف يعمل ليأكل، وكيف يزرع، و...

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(الأعراف:٢٤) ألم يقل للشيطان هناك: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾(الأعراف:١٨)؟ وآدم خرج من هذه الجنة، وسيكون بعضهم لبعض عدو، إبليس مع بني آدم سيكونون متعادين ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ إلى أجل محدود.

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالنسبة لبني آدم ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ من هذه الأرض نفسها، وكأنها هي التي ستكون ساحة للمحشر، هذه الأرض نفسها بعد أن تُعَدَّل، وتُسوَّى، وتُبَدَّل بغير هذه الوضعية التي هي عليها.

ماذا فهمنا هنا من موضوع إبليس؟ موضوع إبليس أليس من النوعية الذين يجعلهم الباري أولياء للذين لا يؤمنون؟ من هذه النوعية إبليس والشياطين من الإنس بما فيهم كبار الشخصيات الذين قال عنهم ﴿الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾(الأعراف:٧٥) الكبار من المجرمين، هم في واقعهم لا يكونون حريصين على مصلحة الناس، هذا أول قضية؛ لأنه لاحِظ كيف قال عن إبليس بأنه يحاول أن يتردد على آدم وزوجته ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾(الأعراف:٢٠) يعني ماذا؟ ليشقيهم، ليوقعهم في الشقاء، لكن منطقه يُقدَّم بأنه ماذا؟ ناصح، وأنه يريد أن يكونا ملكين وأن يكونا من الخالدين.

إذاً أنت ترجع إلى الله سبحانه وتعالى وهو الذي يقول للناس أن يتولوه هو، أنه سيكون رحيماً بهم، ورؤوفاً بهم، وينعم عليهم، ويكرِّمهم، وأشياء كثيرة، فلماذا يتخذ الإنسان الآخرين أولياء من دون الله؟! أليست بداية السورة؟ لماذا يتخذ الإنسان الآخرين أولياء وهم عادة ليسوا ناصحين؟! وبرزت هذه في كثير من مسيرة البشر، أنهم يقدمون أنفسهم ليتولاهم عامة الناس، من الكبار السيئين الذين هم في الواقع، وهم يصدون الناس عن سبيل الله إنما يحافظون على مصلحتهم هم، ويعرفون أن هذه القضية فيها هلاك هؤلاء، فليهلكوا، لا يبالي بأن يهلكوا.

---

(١) يكد: يتعب ويكدح في العمل.

(٢) يلْهَم الله: من اللهجة العامية، وتعني: العمل والسعي في تحصيل الرزق.

تلاحِظ هنا كيف ذكر موضوع الملابس، موضوع اللباس نفسه، أليس الشيطان حاول أن يخلع عنهم ملابسهم؟ الله يقول: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾(الأعراف:٢٦) وعندما يتولاه الناس يخلق لهم الأشياء الكثيرة التي منها يصنعون ملابسهم؛ ليواروا سوءاتهم، وأعداؤكم الذين قد تتخذونهم أولياء من دونه يحاولون أن ينزعوا عنكم حتى ملابسكم، يجردوك من ملابسك، لكن لن تكون سوءاتكم مستورة إلاّ إذا كان هناك تقوى، لباس التقوى، آدم لديه ملابس لكن لم تحصل تقوى تقيه مكر إبليس ﴿فَنَسِيَ﴾(طه:١١٥) - كما قال الله عنه في آية أخرى - نسي الذي أكد عليه في موضوع أن الشيطان عدو، فلم تنفعه ملابسه، خُلعت.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ من الأشياء التي تُعتبَر كماليات ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف:٢٦) التقوى في الأخير تشكّل لك مناعة من أشياء كثيرة يريد الأعداء دائماً أن يوقعوك فيها، التقوى مثلما قال الإمام علي عليه السلام: (إن تقوى الله حمت أولياءَ الله محارِمَه).

﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾(الأعراف:٢٧) بعدما ذكر ما عمل مع أبوينا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ أي: هو عدو يحاول أن يفتنكم، يوقعكم فيما هو شقاء ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ فكونوا على حذر منه، لا تعتقد أنه لا يوجَد شيطان لأنك لا تراه، ربما أنها نعمة أن الإنسان لا يراه، وإلاّ لتأثر الإنسان حينما يرى زحمة شياطين مزدحمين عنده - متى ما اجتمع عليه اثنان أو ثلاثة شياطين من الإنس، أليسوا يؤثرون؟ شياطين الإنس يؤثرون؛ لأنه يراهم - لرآهم يزدحمون عليه، وهذا كلَّمه هنا، والثاني كلَّمه هنا، وأحياناً يكلمونه في مجلس واحد ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:٢٧).

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٢٨) كيف تقولون على الله هذا الكلام بعد أن قدَّم القضية بالنسبة لآدم؟! أليس الذي رعى آدم ونبَّه آدم من هذا العدو ثم بعد أن وقعت منه الخطيئة تاب عليه؟ كيف تقولون بأن الله هو الذي يأمركم بالفحشاء؟! الشيطان هو الذي قال عنه هكذا في آيات أخرى بأنه يأمركم بالسوء والفحشاء.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(الأعراف:٢٩) أمر بالقسط، وأمركم بالتوجه لعبادته.

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(الأعراف:٣٠) إذاً فهذا مما يُبيِّن فظاعة الضلال، أنك وأنت في الضلال معناه ماذا؟ أنك أصبحت ولياً للشيطان، وما أسوأ أن يكون الإنسان وليه الشيطان! لأن هذه في حد ذاتها تُعتبَر عقوبة على الضلال نفسه، أن يكون الضلال الذي أنت فيه يجعلك ولياً للشيطان.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأعراف:٣١) دائماً يذكر بالنسبة للدِّين بأنه لا يحول دون اللباس الجيد، دون الأكل من الطيبات، أي: لا يأتي دينه على أساس أنه يجرِّد الناس من اللباس، فقط الضلال والشيطان الذي يحاول أن يجرِّد الناس منه، أمَّا الله فيقول للناس هذا الدِّين الذي تتجهون إليه هو أيضاً وسيلة من وسائل البركة والخير لكم، كما جاء في آية أخرى بعد أن ذكر ما حصل للأمم التي أعرضت عن هداه.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ إذاً أليس الله سبحانه هو الولي الذي يريد لعباده، بل وفَّر لعباده هو حينما قال في الآية السابقة: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾(الأعراف:٢٦) هنا يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾(الأعراف:٣١) بينما العدو (الشيطان وأولياؤه) يريدون للإنسان بأن يشقى، لا يحصل على ملابسه إلاّ بصعوبة، لا يحصل على أكله وشربه إلاّ بتعب شديد.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٣٢) فيجب أن نعلم بأن دين الله ليس معناه بأنه يكون نتيجته أن نُحرَم من الطيبات، وأن نُحرَم من اللباس، طيبات الملبس، والمأكل والمشرب وغيره.

إذاً ليس في الدِّين حرج، هل فيه حرج؟ هو قال في المقدمة: ﴿فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾(الأعراف:٢) هنا يُبيِّن بأن هذا الدِّين لا يؤدي إلى حرج أبداً، لا يؤدي إلى الحرج والشقاء إلاّ خطوات الشيطان عندما يسير الناس عليها، هذا أول مَثل حصل لآدم.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ والفواحش هي تضر بحياة الناس، هي تؤثر على استقامة حياتهم ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٣٣) إذاً هذه القائمة هل هي قائمة تجعلك تنصرف عمَّن يدعوك إلى هذا الدِّين؟ يقول: إن الشيطان هو عدو مبين، قال بالنسبة لمؤامرته على آدم وزوجته: إنه يريد أن يخرجهم من الجنة ويبدي لهما ما وُورِيَ عنهما من سوءاتهما.

بالنسبة لدين الله إنما حرم الأشياء التي تُعتبَر ضارة، تُعتبَر خللاً كبيراً في حياة الإنسان: ﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ إذاً هل امتناعنا عن هذه الأشياء يُعتبَر حرجاً، أم أن هذه الأشياء (الفواحش والإثم والبغي...إلخ) هي التي توقع البشر في حرج؟

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(الأعراف:٣٤) يجعل لها أجلاً، خلال فترة الأجل يُقدِّم لها الهدى والبيان، وأشياء كثيرة جداً حتى ينتهي الأجل ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ ثم تُضرَب. وهذه آية هامة ليفهم الإنسان فيما يتعلق بمسيرة الحياة، أحياناً يسيطر على ذهنية الإنسان بأن هذا طابع مستمر هكذا، لا، الأمم كلها لها أجل، ألسنا الآن نقرأ في التاريخ من خلال ما قدَّمه القرآن الكريم أمماً وانتهت، ثم من بعد في تاريخ الإسلام أمم كانت إمبراطوريات قائمة ثم انتهت.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(الأعراف:٣٥) يقصون عليكم آياتي، ويجب أن تفهمها بأنها على وفق تلك السُّنة، وهو يُبيِّن لإبليس، ويُبيِّن لآدم وزوجته على أرقى مستوى ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ ليس فقط آيات غامضة، أو "خَطْفة"[1] أو إذا صادف تلحق النبي وتبحث عنه أين هو في أيِّ الشعاب، ربما يطلُّ عليك من أيِّ مكان ويعطيك كلمة ثم يضيع عنك، بل يأتون هم ويقصون عليكم آياتي، أليس هذا يعني أن سُنته تقوم على التبيين الكامل؟ إنما فقط عند الاثنا عشرية الذين يعتقدون أن محمد بن الحسن هو الإمام الثاني عشر - ويبدو أنه لم يوجَد نهائياً - يقولون: (إنه قرين القرآن، وهو يمثل عترة رسول الله، وهو الحجة على الناس) ولا تدري أين هو، ولا تستطيع أن تأخذ منه كلمة، أو تبحث عنه أين هو، نهائياً! لا، هذه سُنة الله بالنسبة لرسله، وبالنسبة للهداة من عباده، عمل مباشر، يباشرون الناس مباشرة ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(الأعراف:٣٥،٣٦) أي: الله يذكر بأنه سبحانه وتعالى هو الذي يأتي من جانبه ما يُبيِّن للإنسان الطريقة التي يسير عليها في هذه الحياة: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أليس معنى هذا أنها قضية بيد الله هو؟ أطراف أخرى خارج عن هذه السُّنة لم يبقَ لهم إلاّ افتراء على الله، يأتي بعدها: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إمَّا افتراء بالشكل الذي يبدو وكأن الله قصَّر في التبليغ، أليس هنا يذكر بأنه يرسل رسلاً ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾؟ وهذه للأسف حصلت داخل المسلمين! أو يبتعد عنهم فيقدِّم شيئاً من جانبه؛ إذاً فهو مفترٍ على الله، يبتعد عن الرسل، ويُقدِّم هو أشياء للبشرية من عنده.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾(الأعراف:٣٧) يبدو أنه نصيبهم مما قد كتب؛ لأنه هناك قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾(الأعراف:٣٤) فعندما تنطلق الأمة وهذه حصلت في داخل بني إسرائيل، وحصل بالنسبة للمسلمين أيضاً من بعد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) انطلقوا انطلاقة وكأن الله حصل من جانبه تقصير أو نَقْص في موضوع البلاغ بالنسبة للناس، فانطلقوا هم.

إذاً هذا الشيء الذي انطلقوا فيه هو في الواقع يُعتبَر مبنياً على افتراء على الله، وصرحوا بهذه العبارة التي نقول عنها في كثير من الحالات نقول: لماذا نضطر إلى أن كل واحد يحاول أن يبحث ويعتمد على ظنه، وكل مجتهد يعتمد على ما غلب في ظنه وهو يبحث؟ لأنهم قالوا: (غابت القضية، أي: رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مات فما بقي إلاّ هكذا، لم يبقَ وحي، لم تبقَ نبوة، لم تبقَ طريقة نهائياً) أليس معنى هذا افتراء على الله؟ مع أنه معلوم أن هذا الكتاب للناس إلى آخر أيام الدنيا، ورسول الله رسول للناس إلى آخر أيام الدنيا، أليس هذا معلوماً؟ عندما ينطلقون هذه الانطلاقة: وكل واحد يعمل مِن عنده وعلى أساس افتراء على الله بمعنى ماذا؟

---

(١) خَطْفَة: من اللهجة العامية، وتعني: الشيء الذي يمر سريعاً.

أنه قصَّر في التبليغ، بل قالوا: بأنه (لم تأتِ أدلة تفيد العلم، وإنما فقط قد عرفنا أننا مكلفون، ولم ندرِ ماذا كُلفنا به، فما بقي إلاّ أن نعمل على حسب ظنوننا)! حتى في الأخير وبعبارة تبدو فعلاً تدل على مشاعر سيئة نحو الله، في الأخير قالوا: (إذاً فيجب على الله أن يقبل ما أدى إليه نظر أيِّ واحد منا) قالوا بهذه العبارة: (مراد الله تابع لمراد المجتهد) لأنه إذا كان لم يبقَ إلاّ ما غلب في ظننا الذي هو مبني على أمارات وقرائن وأشياء من هذه، إذاً فلا يصح أن يعذبنا الباري ولم يُبيِّن لنا هداه، فما بقي إلاّ أن يقبل ما وصل إليه ظن كل واحد منا!

ثم ظهرت عبارة بأنه (ما توصلت إليه أنت فهو الواجب بالنسبة لك، هو الحق بالنسبة لك، لماذا؟ لن يرى الباري مِنا إلاّ هكذا؛ لأنه لم يُبيِّن)! هنا قدَّمها بأنها تُعتبَر افتراءً على الله، الله يُقدِّم من أول عملية مع آدم ومع إبليس أنه يُبيِّن على أرقى مستوى، وهنا العبارة يقدِّمها على أرقى مستوى: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أليس هذا يعني بأنه سيقدِّم هداه بشكل واضح؟ ثم يأتي بعدها: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾(الأعراف:٣٧).

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾(الأعراف:٣٨) تجد أهل النار وهم في أسوأ حالة يكونون فيما بينهم دائماً متلاعنين، متشاتمين، وكل واحد يحمِّل الثاني المسؤولية ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ زدهم عذاباً أكثر منا ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾(الأعراف:٣٨) هم لهم ضعف، وأنتم لكم ضعف لاتباعهم.

﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٣٩) فتلاحظ كأنه بالنسبة لأهل المحشر جميعاً، أن الله قد ذكر في آياته أنه سيبين للناس ما كانوا فيه يختلفون، فيعرفون بأنه إذاً أولئك الذين أضلونا ولو كانت أمة متقدمة ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا﴾ قد صاروا عارفين من خلال التبيين الذي حصل في المحشر، قد أصبح لديهم عداوة شديدة وحقد عليهم، يريدون أنه ماذا؟ أن يزيد لهم عذاباً؛ لأنهم أضلوهم ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ مَن الذي قال لكم أنتم أن تمشوا وراءهم وآياتي تأتي بينات؟! كما قال هناك: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾. ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لِأُخْرَاهُم فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ بأن حصل لكم تخفيف، أو...، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الذين أضلوهم في هذه الدنيا أيضاً يوم القيامة يغيظونهم في داخل جهنم.

هذه الآية جاءت بعد الآية السابقة التي فيها: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(الأعراف:٣٧) وهنا يُبيِّن بأنه يبدو بشكل بشر، أو إنس وجن ﴿رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا﴾(الأعراف:٣٨) أي: ليست المسألة فقط مسألة أصنام، بل فيها مضلون من البشر، ومضلون من الجن، فهنا يُبيِّن بأن من يتخذونهم أولياء من دون الله هكذا سيوصلونهم إلى أسوأ موقع، بل في جهنم أيضاً يقولون لهم من هذه العبارات القاسية: ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٣٩).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾(الأعراف:٤٠) هذا للتأييس كما يسمونه، لا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في سم الخياط، بمعنى كيف؟ كما نقول: في "خَذَلة الْمَرِيب"[1] هل الجمل يمكن أن يدخل في "خَذَلة الْمَرِيب"؟ الخيط لا يدخل إلاّ بصعوبة.

﴿لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(الأعراف:٤١) نعوذ بالله، النار تكون من فوقهم ومن تحتهم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(الأعراف:٤٢) ما الذي يجعل الإنسان ينصرف إلى أن يتخذ أولياء من دون الله، ويسير في طريق الشياطين؟ هل لأن الله يكلفه بما لا طاقة له به فانصرف؟! هنا يقول: الله لا يكلف الإنسان إلاّ وسعه، أي: أن كل ما قدمه لنا من دينه هو في وسعنا أن نعمله.

سابقاً قد تحدَّثنا حول آية مثل هذه، عندما يقول البعض: إن الله يقول: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(البقرة:٢٨٦) هذا صحيح لكن لا يفهموها بالمقلوب، افهم بأن أمامك تكليفات على نفس هذه العبارة، أي: أشياء مطلوب منك أن تسير عليها وتلتزم بها، فكل ما رأيته هو مما في وسع الناس أن يعملوه، ليس معناه عندما يأتون ينظرون إلى

(١) خَذَلَة الْمَرِيب: من اللهجة العامية، وتعني: ثُقْب الإبرة.

آيات هنا، إلى أوامر وتوجيهات، ثم يقيدونها بأن الله لا يكلف الإنسان إلاّ وسعه، ثم ينطلق هو فيرى أن ليس بوسعه هو، باعتبار آليات مُعيَّنة وأشياء مُعيَّنة! لا، إن الحقيقة واضحة في هذه الآية عندما يقول: ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(الأعراف:٤٢) أي: ما قدمناه للناس، ما ألزمنا به الناس، ما أمرناهم به، ما نهيناهم عنه، هو في وسعهم، والسورة من أولها تذكر بأن هذه المهمة الكبيرة التي كُلف بها رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مع أنه ليس هناك أحد منا قد نقول بأن مهمته مثل مهمة النبي، أليست مهمة كبيرة؟ هي نفسها هذه المهمة الكبيرة، لم تكن بالشكل الذي توجد حرجاً في صدره، وهي لا تزال في وسعه. فنفهم الآية على أصلها، نقول: صحيح، إذاً فلننطلق منها فكل ما وجدنا الله أمرنا به، وجَّهنا إليه، نهانا عنه، فإنه في وسعنا أن نلتزم به؛ لأنه لا يكلف إلاّ بما فيه وسعنا، الذي ليس فيه وسع نهائياً لا يكلف به من البداية، الذي ليس في وسع الناس لا يكلف به من البداية.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾(الأعراف:٤٣) كأن الآية لا تعني: أن فيهم غلاً على بعضهم بعض، المؤمنون لا يُقدَّمون بأنهم فئات في نفوسهم غل على بعضهم بعض، إلاّ إذا كانت حالات نادرة جداً غل من آثار هذه الحياة، غل من شقاء هذه الحياة التي كانوا يعيشون فيها، أليس المؤمنون قلوبهم مليئة غِلاً، غَلّهم الآخرون؟ ولهذا يذكر في القرآن: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾(التوبة:١٤، ١٥) لأن هناك في الجنة ينزع الآثار من النفوس بعد هذه الحياة، والجنة ليس فيها أيُّ غل، لا يوجد فيها أحد يُقدِّم أشياء تغيظك نهائياً.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(الأعراف:٤٣) كيف العبارات هنا بالنسبة للمؤمنين؟ هنا يُقدِّم المؤمنين نوعية واعية فاهمة، فهموا موضوع الهدى، موضوع طريق الجنة، أن طريق الجنة يبدأ من أين؟ من طريق التوجه إلى الله، وأنه هو الذي يمنح، أي: أنك تركّز أنت أن تكون متوجهاً إلى الله فتسأله هو رضاه وجنته، تسأله هو أن ينجيك من سخطه وعذابه، أنه هو الذي يهديك إلى طريق جنته، ليست القضية كما تُقدَّم بشكل آخر (منهجية أخرى): أنت الذي تجمع لك للجنة على ما قد قالوا لك، وناسياً لله، لا يوجد التفات بالشكل الصحيح، ولهذا قُدِّم حتى في الأعمال أن الإنسان يتوجه بها إلى الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٠٧) وهكذا في كثير من العبادات.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ هدانا إلى هذه الغاية ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ماذا تعني هذه العبارات؟ إذاً فليكن توجه الإنسان إلى الله، أنه هو الذي يهديك، هو الذي يوفقك هو الذي يرشدك، ويرعاك، ويتوب عليك، ويغفر لك، وأشياء كثيرة، ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾(الأعراف:٤٣) ولاحِظ كم الفارق بين عبارة: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ عندما يقولها أهل الجنة وعندما يقول الآخرون: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾(غافر:٥٠) كما سيأتي بعد، أهل الجنة يقولون لأهل النار: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾(الأعراف:٤٤) ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾(الأنعام:٣٠) إذاً فأين الأفضل أن تقول هذه العبارة وأنت في الجنة، أو وهم يسحبون بالإنسان إلى النار؟ نعوذ بالله.

هنا: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾(الأعراف:٤٣) كأن هذا أيضاً من التكريم لأهل الجنة أن يُبيِّن لهم قيمة عملهم: ﴿أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف:٤٣) لأن الله هكذا يجعل الإنسان يرتاح نفسياً فيرضى عن نفسه أنه عمل أعمالاً عظيمة، لكن هو في توجهه على النحو السابق: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُم مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(الأعراف:٤٤، ٤٥) هذا استكمال للعبارة، لا يبدو أنها مما يقوله من حكى الله بأنه سيؤذن فيقول: لعنة الله على الظالمين، لم يعد هناك سبيل يصدون عنها، وعوج إلى آخره، قد تجمَّع العُوْج في جهنم.

يأتي هذا الأسلوب في القرآن الكريم استفساراً لعبارة مُعيَّنة: مَن هم الظالمون؟ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ هنا في هذه الحياة ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾(الأعراف:٤٥) ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾(الأعراف:٤٦) الله أعلم كيف قد تكون وسيلة النداء، ليس المعنى أن الجنة والنار متقاربة، يكون هناك وسائل اتصال.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ كأن هذا في ساحة الحشر ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ

﴿الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾(الأعراف:٤٦) هؤلاء الرجال كأنهم متميزون، الله أعلم ما هو الذي ميزهم يكونون هم على الأعراف، كأنها أماكن مشرفة يرون أهل النار ربما كأنهم يُمَيَّزون يحشرون هناك يتجمعون كما جاء في سورة (مريم) ويرون الذين قد صاروا إلى النار والذين قد صاروا إلى الجنة. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ رجال الأعراف، الذين على الأعراف ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامات معهم مميزة. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن سلام عليكم، أي: السلام عليكم أنتم أهل الجنة.

هذا يُبيِّن بأنها حالة شديدة، نعوذ بالله من هذه الحالة، أن أهل الجنة يكون يطمع أنه قد دخل، لم يدخلوها بعد، وهم يطمعون أن يدخلوها، لو أن العبارة مثلاً: أن سلام عليكم أنتم أهل الجنة، أهل النار لن يدخلوها، أي: لن يدخلوا الجنة، لا تخافوا أنهم سيدخلون الجنة معكم، لجاء بعبارة: لن يدخلوها، وليس ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ هؤلاء كأن الأشياء التي يعملونها طمأنة، أن سلام عليكم، يُطمْئنون المؤمنين؛ لأنه موقف مخيف جداً، فأولياء الله يأتي لهم طمأنة من جهة هؤلاء الناس الذين هم مشرفون على الأعراف.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ هنا يخافون هم من شدة الهول ﴿قَالُوا رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف:٤٧) أصحاب الأعراف أنفسهم الذين يُطمئنون أهل الجنة عندما يرون أهل الجنة يقولون سلام عليكم، ويتجهون هناك فيرون حالة رهيبة ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

على الإنسان أن يتصور هذه الحالة، كل إنسان يتصور هذه الحالة؛ لأن من سيحشرون بشر، وكل واحد سيحشر، وربما قد يكون هنا، أو هنا فينتبه وهو ما زال في هذه الحياة. الله يوفقنا جميعاً. هذا يدل على أنها قضية مخيفة جداً، أصحاب الأعراف أناس هم مُطمْئنون، هم يُطمئنون الآخرين لكن هنا خافوا حقيقة.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(الأعراف:٤٨) هنا يُبَكِّتونهم في ساحة الحشر ﴿أَهَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾(الأعراف:٤٩) يُذكّرون الآخرين بالذين قد كُتِبوا من أهل الجنة، كأن هؤلاء الذين قد صاروا من أهل النار وأصحاب وجاهات كبيرة ويعتقدون أنه قد حصل حشر ويظنون أنهم ربما سيدخلون الجنة؛ لأن الله في ذهنيتهم مثل أيِّ زعيم في هذه الدنيا، أليس الزعماء هنا يجاملون أصحاب رؤوس الأموال، ووجهاء، وكبار الشخصيات؟ يجاملونهم لو تريد أن تشتكي به أو شيء، لا تُقبَل شكواك، لكن في الآخرة لا يوجد من هذه نهائياً، وكان هؤلاء المجرمون يستخفّون بالمؤمنين، يقولون: كيف؟! ﴿أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن بَيْنِنَا﴾(الأنعام:٥٣) كما قال في آية سابقة، كيف أن الجنة هذا النعيم العظيم الذي تقولون عنه أنها قد تكون لهذه النوعيات؟! بل ربما يأخذون فلاناً وفلاناً ويختارون الكبار من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الوجاهات، مقاييس مادية! فيقال لهؤلاء الكبار كما قال هنا: ﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ لاحِظوا هؤلاء سيدخلون الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾(الأعراف:٤٩) أن يقال لهم أمام أعين الآخرين، حسرات شديدة عليهم.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾(الأعراف:٥٠، ٥١) مقاطعة في الآخرة، أليست هذه مقاطعة؟ لو لم يكن إلاّ فائض أيِّ شيء، أفيضوا علينا من باقي أيِّ شيء من عندكم، كأن هذا قد يكون في ساحة المحشر نفسه؛ لأن هناك آيات أخرى تُبيِّن أن المؤمنين يُقدَّم لهم مأكولات ومشروبات، ويبدو معلبات في نفس ساحة المحشر، أشياء من الجنة معلبات يفجرونها تفجيراً، في آيات كثيرة، على الأرائك، في ساحة الحشر قبل أن يدخلوا الجنة.

﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(الأعراف:٥٠) لأنه قال هناك: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(الأعراف:٣٢) بالنسبة للطيبات. ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾(الأعراف:٥١) عندما قُدِّم لهم هذا الدِّين العظيم استبدلوه وجعلوه محط لهو ولعب، يسخرون به، ويخوضون ويستهزؤون بالمؤمنين ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يُتْرَكون من أيِّ خير ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(الأعراف:٥١) ولجحودهم بآياتنا في هذه الحياة الدنيا.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(الأعراف:٥٢) إذاً فهم عندما وقعوا في هذه الحالة السيئة، فهناك يطلبون - كبار الشخصيات أنفسهم الذين كانوا هنا مترفين، ولا يلتفتون إلى المؤمنين - بأن يعطوهم من فائض ما عندهم في هذه الحياة، يوم القيامة يسألونهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ أليست هذه حالة تُعتبَر سيئة جداً؟ إضافة إلى الأشياء المخيفة الأخرى، هل الذي أوقعهم في هذه الحالة هو تقصير من جهة الله سبحانه

وتعالى، لم تُرسَم الطريقة التي تنجيهم من هذا؟! لا، بل المسألة تأتي على هذا النحو: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:٥٢) هم الذين أوقعوا أنفسهم في هذا المصير السيئ؛ لأنه قال هناك في الآية السابقة: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾(الأعراف:٥١) تلك الآيات التي تأتي بشكل كتاب مفصل على علم ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ أي: يتناول كل قضية بالتفصيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ على علم بالإنسان، علم بالحياة، علم بما سيصل إليه الإنسان في المستقبل، علم بأنه إذا لم يسر على هذا النهج، وعلى هذه الآيات، فسيكون مصيره سيئاً، علم بكل ما تناوله.

وهذه الآية هامة جداً في موضوع المعرفة بالنسبة لنا، وكما نقول: القرآن لا يحتاج إلى "تشطيبات"[1] بعده على الإطلاق، يجب أن يكون هو الحَكم، ويُعطَى الأولوية على كل شيء؛ لأن الله فصَّله على علم، فلستَ بحاجة إلى أن تقول: (أمَّا هذه فكأنها تحتاج إلى كذا كذا، فنحاول أن نزيل ما فيها من أشياء، في بعض آيات)! مفصَّل عن علم ممن يحيط بكل شيء علماً، ممن يعلم الغيب والشهادة، ممن يعلم السر في السموات والأرض.

إذاً أليست هذه كافية بأن يكون الإنسان واثقاً بهذا القرآن بأنه مفصَّل على علم؟ لا تقل: (ليس فيه كذا، أو لم يفصِّل كذا، أو لم يتناول كذا، أو ما زلنا بحاجة نطّلع على كذا من أجل أن نحاول أن نعرفه) أو أشياء من هذه، لا يصح؛ ولهذا نقول أكثر من مرة بأن المسألة بلغت إلى درجة أنه يبدو وكأن الناس ينسون أن الله أعلم منهم، فيأتي إلى كثير من آيات القرآن بما فيها مثلاً آيات آدم، أليس الله ذكر عن آدم بأنه عصى: أكل من هذه الشجرة، أنه، أنه...إلخ؟

آيات مفصلة، وهامة جداً فيما تعطيه من عبرة لأولاده، فيكونون حذرين من أن يخدعهم الشيطان، وحذرين من أن يخالفوا هدي الله فيَشقَوا، فيأتي الآخرون فيكون مهتماً بأن يحاول كيف ينزه آدم (لا يلزم أن يكون ارتكب المعصية عمداً، هو معصوم) فيحاول بأيِّ طريقة أن يتأوَّل لآدم، لا يُقدِّم لك دروساً من هذه القصة، وهي تكررت في أكثر من سورة؛ لأنها قصة هامة جداً، تعطي درساً هاماً جداً، فيما يتعلق ببيان الله كيف أنه يأتي على أعلى مستوى، فيما يتعلق بالهدى، أن الله هو الذي يهدي، هو الذي يَرسِم الطريقة، ولا يأتي الشقاء والضلال إلاّ بمخالفة هداه، فهو أمر إبليس فخالف، تحول إلى شيطان مضل، نهى آدم فخالف، فشقي في حياته، أليس هذا واضحاً؟

ما زال هناك قضية أخرى (قضية الملائكة) لأنها قضية يُكتشف من خلالها أشياء متعددة، كيف أن الناس بحاجة إلى هدى الله أن يسيروا عليه، ثم ينطلقوا على أساس ما يؤمنون به منه، الملائكة ألم يحصل لديهم تلك الحالة في أعماق نفوسهم عندما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(البقرة:٣٠)؟ استمرت المسألة حتى أراهم ما جعلهم في الأخير يعترفون فيقولون: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(البقرة:٣٢) هذه هي قصة هامة جداً تتناول أشياء عظيمة جداً، وبالنسبة للناس يفهمون أثر هدى الله بالنسبة لحياتهم، أثر مخالفته فيما يتعلق بحياتهم، أن يعرفوا من أين يبدأ شقاؤهم في الحياة وضلالهم، أن كل الشقاء والضلال سببه الابتعاد عن هدي الله، هذه تعطيها قصة آدم وحواء وإبليس والملائكة.

يأتي المفسرون بعضهم مشغول مُنطلِق على قاعدة هناك: (موضوع عصمة، عصمة...إلخ). فيكون مستعجلاً عندما يطّلِع على قصة آدم يحاول بسرعة يمشِّي حالها، ويتأول لآدم: (ربما أنه لم يكن يدري) وأشياء من هذه، من أجل أن يَخرُج محافظاً على آدم! آدم قد مات، وقد اجتباه الله وتاب عليه وهداه وانتهى الموضوع، لماذا لا نحاول أن نأخذ منها العبرة لنا نقدمها للأحياء؟ لا أن تحاول أن تحافظ على آدم وقد قال الله عنه: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾(طه:١٢٢) انتهت المسألة، سواءً عصى عمداً أو خطأً، المهم أن الله قد تاب عليه وانتهت القضية.

هذه آية هامة جداً: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ هو الذي فصَّله، لم يُوكِل المسألة إلى أحد آخر من ملائكته أو من خلقه أن اعملْ دستوراً لأهل الأرض، بل هو الذي فصَّله على علم ﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أمَّا الذين ليسوا مؤمنين فهم لا يهتدون به، ولا يحصلون على الرحمة التي تأتي لمن اهتدى به.

كيف يُبيِّن بأنه هدى متكامل يأتي بعده بعبارة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾(الأعراف:٥٣) آيات كاملة، آيات مفصلة، أشياء

---

(١) التشطيب: من العامية في لغة أهل العمارة والبناء، وتشطيب الدار يعني: استكمال العمل في الدار من بعد البناء.

واضحة، بينات شافية، فلم يبقَ إلاّ أن تنتظر ما يؤول إليه، أو نقول: مآله، أي: الحقيقة من ورائه، ومعظم هذه تأتي في الأخير الحقيقة من وراء من التزم به الغاية الفلانية في هذه الحياة وفي الآخرة، غاية إيجابية هامة، ومن أعرض عنه، مثلما قال في الآية الأخرى، ألم يرتب الغاية في الأخير؟ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:١٢٣، ١٢٤) هذا مآله.

بالنسبة للآخرة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ أي: حقيقة ما أنبأ عنه بالنسبة لليوم الآخر: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾(الأعراف:٥٣) أي: أنها بينات إلى درجة أنهم كانوا عارفين ما يقدمه الرسل إليهم، وكانوا يعارضون عن عمد، فيوم القيامة لا يوجد أحد سيقول: لو أن الرسل نبَّؤونا بهذا، أبداً. أي: قد جاء النبأ الكامل، وجاء التفصيل الكامل، فهم يعترفون بأنه ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ ويبحثون إذا كان لا يزال هناك مخرج ﴿فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾(الأعراف:٥٣) لم يعد موجوداً: لماذا لم يُبيِّن لنا الله؟ لماذا لم يرسل رسلاً يبينون لنا؟ إنما فقط يقولون: فعلاً قد بيَّنوا بياناً كافياً، وهذا هو الحق الذي كانوا يحدثوننا به في الدنيا، ويبحثون عن مخارج أخرى إذا ممكن: شفعاء، أو إذا ممكن أن يطلبون أن يرجعوا إلى الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(الأعراف:٥٣) هذا مما يُبيِّن أهمية الكتاب، أنه لا يوجد بعده إلاّ مآله وتأويله، ماذا يمكن أن تنتظر من بعد هذه البينات؟! لهذا قال في آية أخرى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾(الجاثية:٦) وقال في آية سابقة قرأناها في سورة (الأنعام): ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾(الأنعام:١٥٨) فلم يبقَ أن تنتظر شيئاً بعد هذا الكتاب على الإطلاق؛ لأنها آيات وافية في كل ما تناولته، وهي تناولت هذه الحياة والحياة الآخرة، كتاب للدنيا والآخرة. فهل يمكن أن يصح في مقابل هذه أن يقول الإنسان: إنه لا يكفي، وسنحتاج، وسنحتاج؟!

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾(الأعراف:٥٤) ما تَقدَّم من كلام معناه ماذا؟ جانب من تدبير الله في شؤون مخلوقاته باعتباره هو الإله الْمَلِك، هو ذكر هنا فيما يتعلق بجانب الهدى، هنا يُقدِّم أيضاً صورة أخرى؛ لأنه هو ملك الناس، هو ربهم، هو الذي خلق السموات والأرض، ولم يخلقها هكذا ثم تركها، كذلك أنتم لم يخلقكم ثم يترككم، هو لا يخلق شيئاً ثم يتركه، لا يوجد أن الباري يخلق شيئاً ثم يتركه ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:٥٠) خلق السموات والأرض وهو يمسك السموات والأرض أن تزولا، وخلق كل ما فيهما وهو الذي يحرك كل ما فيهما.

إذاً فيجب أن تفهم أنه هو المعني بموضوع ماذا؟ هذا التدبير التشريعي، الهداية والتدبير، وأنه الْمَلِك، كما تجد هذه الأشياء هي في قبضته، أنت في قبضته، هو الذي خلَق السموات والأرض، وهو الذي سيأتي باليوم الآخر، و"يخربط"[1] هذه المخلوقات كلها: السموات والأرض، ويأتي بعالَم جديد، ويحشر الناس فيه، ويجازيهم على أعمالهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الذي خلق ثم اتجه لتدبير ما خلق، وشؤون ما خلق، أي: هو الخالق والْمَلِك في نفس الوقت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ هو الذي يحرك الليل، وجعله على هذا النحو: الليل يتبع النهار، ويتحرك في اتجاه يطلب النهار ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ هي كلها أليست كلها تتحرك؟ ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾(الأعراف:٥٤) هذا معنى خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش ﴿لَهُ الْخَلْقُ﴾ هو الذي خلق، وله ما خلق، وله الأمر فيما خلق. هل يوجد هنا في الأرض مخلوقات لآخرين؟ لا يوجد. كل ما في السموات والأرض كلها مِن خلْق الله ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ هذه القضية يجب أن تترسَّخ عند الإنسان؛ لأنها قدّمت بعبارة أشبه شيء بإعلان، لإعطائها اهتمام ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ هو الذي خلقكم، وهذا الخلق هو له، وهو الذي له الأمر فيه ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف:٥٤).

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(الأعراف:٥٥) اتجِهوا لعبادته، اتجِهوا لدعائه هو، دعائه على سبيل التضرع، على جهة التضرع أمامه سبحانه وتعالى، ودعاء خفية: دعاؤه على جهة السر، أو إذا كان على سبيل الذكر لله؛ لأن عبارة ﴿ادْعُوا﴾ تأتي أحياناً بمعنى العبادة، وتشمل أحياناً الدعاء، تأتي عبادة بعبارة دعاء في مقامات، ولأن الدعاء عادة هو من الأشياء التي يستخدمها الناس لمن يعبدونه، حتى من يعبد صنماً فإنه يدعوه.

---

(١) يَخْرْبِط: من اللهجة العامية، وتعني: يخبص.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ هل معنى معتدين متجاوزون إلى دعاء غيره؟ فبالنسبة للمشركين هم يتجاوزون إلى دعاء غيره، وبالنسبة للناس بشكل عام، إذا نظرنا إلى خطورة اتخاذ أولياء من دونه، فلأن تعامل الإنسان مع من اتخذهم أولياء من دون الله أشبه شيء بأنداد لله، كل ما خطر في باله شيء يكون متجهاً إلى أنه يحاول مع ذلك الذي قد اتخذه ولياً من دون الله. فيُقِر الناس، أليست الآية ليُقِرَّ الناس؟ أن الله هو الخالق، هو الذي له الخلق، هو الذي له الأمر، فهو ربهم فليتجهوا لعبادته، وليُقِروا وليرسِّخوا في أنفسهم أنهم عبيد له، ولا يعتدوا، هو لا يحب المعتدين.

﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(الأعراف:٥٦) كل من يتعدون حدود الله، توجيهات الله، عبادة الله، يتحولون إلى مفسدين في الأرض بعد إصلاحها من البداية؛ لأنها خُلِقت على أحسن شيء، لم تخلَق مليئة بالفساد ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف:٥٧) هنا يأتي بمظاهر من مظاهر تدبيره، من هذه الأشياء المخلوقات التي نحن نعرف حركتها: سحاب يصعد ويمطر ثم يتلاشى، أليست هذه قضية يلمسها الناس؟ الرياح أيضاً يلمسونها عندما تتحرك بعد أن كان الجو ساكناً، أي: حركة تعني ماذا؟ أنه هو الْمَلِك، هو الخالق، هو الحي القيوم.

ولاحِظ كيف تأتي هذه الآيات كلها مرفقة مع اسمه، هذه قاعدة هامة، نعرف من خلالها منهجية القرآن في تقديم معرفة الله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾ إلى آخرها ﴿وَهُوَ الَّذِي...﴾ أليس الضمير يعود إلى الله؟ هذه الأشياء الإنسان يدرك بأنها مسخرة له، وأنها ضمن رعاية الله له، الإنسان في حياته يحتاج إلى هذه الأشياء: الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والمطر، أليس الإنسان يحتاج إلى هذه؟ ليعرف بأن الذي يرعاه في هذا الجانب لا يمكن أن يهمله في الجانب الآخر (جانب الهدى والتشريع) وأن تشريعه وهداه كله يمثل رعاية للإنسان، هذه رعاية تترسَّخ في ذهنية الإنسان، ليست قضية تكليفات يُتوخى فيها المشقة ليُعرَف من هو الذي سيعملها فيأتي له ثواب هناك! إنها هنا في الدنيا تُعتبَر رعاية، كما الأشياء الأخرى هذه رعاية، كما الشمس والقمر هي تُعتبَر نوراً من هذا الظلام المادي الذي نراه، فهداه نور، ألم يسمه نوراً؟ نور يُخرِج الإنسان من الظلمات، الظلمات الأخرى: ظلمات الجهل والضلال والظلم والقهر والشقاء في هذه الحياة.

وهذه القضية هامة ومتكررة في القرآن؛ ليفهم الإنسان من خلالها أن هذا الدِّين هو لرعايته، أنه رعاية ربما قد تكون أكثر من رعاية هذه الأشياء الماديات، فالإنسان بحاجة ماسَّة إليه كحاجته الماسَّة إلى هذه الأشياء: إلى الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وإنزال المطر والرياح، وهذه الأشياء كلها، هذه المظاهر التي يذكرها الله في كثير من الآيات.

فإذا عرفنا بأن دين الله رعاية، رعاية للإنسان هنا في هذه الحياة؛ ولهذا يقارنها بهذه الأشياء التي تعني أكثر من شيء، أن تستشعر بأنها نِعم من جهة الله سبحانه وتعالى، فتعرف إحسان الله إليك، أن تعرف بأنها من مظاهر حكمته وقدرته وملكه وتدبيره، أن تعرف ما فيها من رعاية لك. هنا في الجانب الآخر وهو يقدِّمه لك هو يقدِّمه رعاية، أليس يذكر دينَه بأنه رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧) ويذكر القرآن بأنه رحمة، ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(فصلت:٢)؟ فإذا ارتبط دين الله في ذهنيتنا بأنه رحمة لنا، ورعاية لنا، فنحن في أمسّ الحاجة إليه كحاجتنا الماسَّة إلى الشمس والقمر والنجوم والأمطار، وكل هذه التي يعددها علينا في كثير من الآيات، هنا سيعرف الإنسان بأنه لا بُد أن يتحرك بهذا الدِّين وإلاّ فسيشقى في حياته.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ هنا يذكر وسيذكر فيما بعد أنه هو الذي أرسل نوحاً عليه السلام ويرسل الرسل مبشرين، ويعطيهم رحمة من عنده، البينات التي تنزل. والعادة أن الناس عندما تأتي الرياح في مقدمة المطر يحاول الذي مثلاً يريد أن يحصل له شراب أن يصلِّح "المشرب حقه"[1] ويحاول كل واحد حتى لا يأتي المطر ويذهب ولم تشرب أرضه، أليسوا يعتبرونه رحمة؟ فالمفروض أن يكون الناس هكذا بالنسبة لدينه، أن نكون حريصين على أن نصلح المشارب، مشارب نفوسنا، نصلِّحها حتى تستوعب أكثر نسبة من هداه.

---

(١) الْمَشْرَب حقه: من اللهجة العامية: مَشْرَب مزرعته، الْمَشْرَب: هو الذي مِنْ خِلالِهِ يَنْحَدِرُ مَاءُ المَطَرِ إِلَى المَزْرَعَة وَيَسْقِيهَا.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾(الأعراف:٥٨) نجد هذه الصورة أيضاً بالنسبة للإنسان، هنا يُقدِّم صورة متكاملة في الواقع، هذه الأشياء: مظاهر الحياة، وتجد فعلاً يكون هناك أرض لو يصب عليها كل يوم لا ينبت فيها شيء لا تخرج إلاّ نكداً، إذا خرج منها شيء يخرج لك "مطوي"(١) فيه عشرون حبة أو نحوها، بحيث لا تعطي خسارة عمل الأرض، وهناك بلد طيب يخرج نباته بإذن ربه، كذلك الناس فيما يتعلق بهدى الله، يكون هناك من يستقبله فيصبح طيباً بما تعنيه الكلمة، ويفيد، يُقدِّم شيئاً طيباً، ومنهم من لا يتأثر به، ويبقى خبيثاً هناك.

﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ هذه آية من آيات الله ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نُقدِّم أمثلة من الأشياء الملموسة المحسوسة أمامنا ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:٥٨) فنشكر الله على ما قدَّم لنا من هذه الآيات التي هي آيات ونِعم في نفس الوقت ونشكره على هداه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾(الأعراف:٥٩) هنا يُبيِّن بأنه هو الْمَلِك، هو الذي خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش: يدبِّر شؤونها، وهو الذي خلق الإنسان، فهل يتصور بأنه خلقه وانتهى الموضوع؟! خلقه ولا بُد أن يُقدِّم له منهجاً يهتدي به في هذه الحياة، لا يخلق شيئاً ويتركه، أبداً، أصغر حيوان تراه هو أيضاً له هدى من جهة الله فيما يتعلق بحياته، كما حكى الله عن نبيه موسى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(طه:٥٠).

ثم كما تجد بأنه يُرسل الرياح بين يدي رحمته، والليل والنهار، يغشي الليل النهار، والشمس والقمر، وأشياء من هذه، يحرك في مجال آخر في مجال ماذا؟ مجال الهدى، مجال الدِّين، مجال التشريع الذي يمثل رعاية هامة للإنسان، يرسل رسلاً ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الأعراف:٥٩) ثم تجد أيضاً كيف أسلوب أنبيائه، أليس أسلوباً لطيفاً ورقيقاً، أسلوباً يُقدَّم من ناس حريصين جداً على إنقاذ الناس، ومحبين جداً للخير لهم؟ من خلال العبارات التي قدَّمها: عبارات لطيفة، لا يرسل رسلاً بحيث يصل بصورة فظيعة يقول: (هيا جاوبوا) وأشياء من هذه، لا يوجد. بل رسل يَعِظونهم، يذكّرونهم، ويوجهونهم، وبأخلاق عالية، ومنطق رقيق، وتلطف يوحي بماذا؟ بأنهم رحمة فعلاً.

هم أيضاً يُعتبَرون مظهراً من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى، وإلاّ فهو سبحانه وتعالى يستطيع، هو قدير أن ينزل ملائكة يأتون ويمسكون الشخص الذي عند الصنم ويضربون به الأرض، أليس هو يستطيع من أول يوم؟ ويقولون له: ابتعد عن هذه الأشياء، ويرمونه بعيداً عنه، أليس هناك ملائكة يستطيعون أن يعملوا هذه؟ لكن بأسلوب عالٍ جداً، مما يُعتبَر مظهراً من مظاهر رحمته وتكريمه للإنسان. ثم لاحِظ هذا الإنسان كيف يعمل، في الأخير يبحث عن أولئك الذين هم شياطين، الذين لا يقدمون شيئاً، وليسوا حريصين عليه، ولا رحيمين به، ولا يهمهم مصلحته فيتخذهم أولياء إلى أن يهلك هو وإياهم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ إلى قومه، إلى الكل، لا يأتي مثلاً أنه لا يعطي اعتباراً إلاّ لكبار الشخصيات فقط، والآخرون لا يلتفت إليهم، بل إلى الكل، إلى قومه من زعمائهم ومواطنيهم، كانت تركيبتهم قبلية، زعماء عشائر. ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الأعراف:٥٩) أليس هذا منطق من هو يخاف عليهم، هو رحيم بهم؟

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾ الكبار ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الأعراف:٦٠) أول السورة أليست ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾(الأعراف:٣)؟ وهنا يُبيِّن لك كيف يعمل الأولياء الآخرون ليتخذهم الناس أولياء لهم من دون الله، أولاً إن الله رحيم لا يتجه برسله فقط إلى الكبار، ثم - مثلاً - يرفضون فيذهب من عندهم بحيث أن الآخرين قد يقولون: (لو كان جاء إلى عندنا لكان ممكناً أن نؤمن به، إنما فقط يرسل إلى عند الكبار، وهو يعرف أن الكبار لن يؤمنوا به، لو أرسلهم إلينا فيمكن أن نستجيب له)! هو يرسل إلى القوم كلهم، يرسل إلى قومه.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:٦٠-٦٢) أعلم من جهة الله ما لا تعلمونه أنتم، وأقدِّم ما أعرفه من جهة الله نصحاً لكم.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾(الأعراف:٦٣) هل تُعتبَر قضية غريبة، أو المفروض أن تنظروا إليها كنعمة؟ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ أليس المفروض أن

(١) المَطْوِي: من اللهجة العامية، ويعني: سُنْبُلَةُ الذُّرَة.

تعُدوا هذه نعمة؟ لا أن تعتبروها قضية غريبة، إذاً فهذا ضلال مبين، وأنتم في ضلال مبين. ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لاحِظ أسلوب أنبياء الله، أليس الأسلوب الإلهي نفسه في التبيين للناس؟ ولبيان العواقب فيما إذا استجابوا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾(الأعراف:٦٤) هنا يُقدِّم المسألة باختصار، تعطي صورة واضحة، من كانوا وراء صد أولئك القوم عن الاستجابة، وعندما تعلقوا بهم كيف أدى في الأخير إلى أن يُضرَبوا معهم. هم اتخذوا أولياء ﴿عَمِينَ﴾ وعموا بعماهم. وهذا كان من الأشياء الرهيبة فيما يتعلق بقوم نوح عليه السلام لاحِظ كيف بقي معهم تسعمائة وخمسين سنة، وكان هؤلاء (زعماء العشائر) شكّلوا عائقاً على طول المسيرة، ولأن هؤلاء القوم أنفسهم متمسكون بهم، منتظرون لهم حتى يستجيبوا، وهم لن يستجيبوا.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: وهكذا أرسلنا إلى عاد، وأرسل إليهم أخاهم هوداً، معناه شخص يعرفونه منهم، وبلغتهم يحدثهم، وناصح لهم، وحريص عليهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأعراف:٦٥-٦٧) ثم لاحِظ كيف يكون منطقهم أيضاً لطيفاً على الرغم من أنهم يواجَهون بكلام قاسٍ، حرصاً منه على أن يجلس معهم، ويُبيِّن لهم، ويذكّرهم، وينذرهم ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾(الأعراف:٦٧-٧٠) أليس هذا منطق السفاهة؟ بعدما يأتيهم بآيات بينات، ويخوفهم بعذاب الله، ثم يقولون: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ في موضوع الأصنام ﴿فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾(الأعراف:٧١) تجعلونها شركاء لله، فاعرفوا بأنه لا يوجد أيُّ سلطان بأن الله قد جعلها شركاء له ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ الْمُنتَظِرِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف:٧١،٧٢) هنا قدَّم صورة مختصرة عنهم: يُبيِّن كيف رحمته بالناس، كيف يرسل رسلاً منهم، وناصحين لهم، ويبينون لهم على أعلى مستوى، ثم يأتي الآخرون ويتعللون بأشياء لا تُعتبَر شيئاً مثل: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الأعراف:٦٠) ﴿لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾(الأعراف:٦٦) ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾(الأعراف:٧٠) ويتمسكون بهم، وفي الأخير يهلكون معهم.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(الأعراف:٧٣) لاحِظ الأنبياء، أليسوا كل واحد منهم يقول: اعبدوا الله؟ أليس هذا يعني بأن البشر يعرفون الله؟ لا أحد يجادلك في موضوع الله، بل يجادلونهم حول وحدانيته أنه لماذا فقط إله واحد، وهؤلاء أيضاً آلهة، أو يجادلون بأن رسالته لم تصح عندهم، (هات لنا آيات) أخيراً يتعنتون بعد كل شيء ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ معناه أن تلك مؤشرات ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾(الأعراف:٧١) عندما يكونون قد أصبحوا إلى هذه الدرجة: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ يستعجلون العذاب.

وهكذا بالنسبة لثمود مع (صالح) يذكر نفس الشيء يذكِّرهم بما حصل للأمة السابقة مثلما ذكَّر (هود) قومه بما حصل لقوم (نوح) يذكر (صالح) قومه بما حصل لقوم (هود). وهذه قضية هامة من الناحية المنهجية: تذكير الناس بما حصل للمكذبين السابقين، تذكير الناس بما حصل للمؤمنين السابقين، أشياء هنا في واقع هذه الحياة.

هنا يذكّرهم بآلاء الله (بنعمه) ولاحِظ كيف كانوا قد عرفوا ما حصل للأمم السابقة، قد عرفوا ما حصل لـ(عاد) كانوا يتخذون بيوتاً في الجبال ينحتونها على أساس لو تأتي رياح كيفما تأتي لا تستطيع أن تقلع الجبل، ناسين أن الله عنده طرق كثيرة جداً!

كيف يُقدِّم الأنبياء ناصحين بكل ما تعنيه الكلمة، يقدمون رسالتهم للكل، ويخاطبون الكل، وحريصين على هداية الكل، لا يجلس يتميز هو وأصحابه ولا يتحدث مع الباقين، ولا يُقدِّم لهم أيَّ نصيحة، لاحِظ كيف قال عن صالح: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ بعدما أخذتهم الرجفة ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٧٩).

أو كأن هذه مثلما ذكر سابقاً عن هود عندما قال: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾(الأعراف:٧١) كأنه تولى عنهم عندما اتضحت مؤشرات نزول العذاب، تولى عنهم، أحياناً تأتي الآيات استرسالاً فيما حصل عليهم، عندما يقول: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ ليس معناه أنه خاطبهم بعدما أصبحوا جاثمين، إلاّ إذا كان على طريق أن يحكي حالة مُعيَّنة، أو يُسمِعه الله أرواحهم إذا أمكن، إذا حصل، لكن ليس هناك ما يدل على هذا، فقد يكون تولى عنهم من البداية، ثم عندما بدت مؤشرات العذاب؛ لأنه إذا قلنا بأنه بعد نزول العذاب عليهم معناه أنه نزل العذاب وهو بينهم، ويبدو أن الشيء الطبيعي أن الأنبياء كانوا يخرجون متى ما حُكِم على أمته بعذاب بعد ذلك يخرج، يخرج قبل أن ينزل عذاب، مثلما حصل لنوح: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾(الشعراء:١١٩). ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ إذاً فكأنه خاطبهم وهم ما زالوا أحياء، وهو منصرف عنهم ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

كذلك يذكر عن لوط بالنسبة لقومه، وحرصه على قومه، ويذكر كذلك عن شعيب، وهنا يُقدِّم القضية بالنسبة للرسالات أنها تتناول إصلاح الناس في مقابل أيِّ فساد هم عليه، فساد أخلاقي، أو فساد تجاري، أو فساد ثقافي، أو أيُّ شيء. شعيب يذكر مع قومه: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾(الأنعام:١٥٢). عندما تُقدَّم الرسالات بأنها على هذا النحو، فهو يُقدِّم صورة بأن هدى الله يشمل كل شيء، ويُقَدَّم للإنسان هدى في كل مجالات حياته. كذلك بالنسبة لشعيب: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾(الأعراف:٨٨). ثم يذكر ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(الأعراف:٩٢، ٩٣).

إذاً فنحن أمام سُنة إلهية: أنه يُرسل رسلاً، كما أنه يُسخر الشمس والقمر، وأنه في موضوع الهداية هو الذي أرسل رسلاً، وأنزل كتباً؛ ليتناولوا هدى الناس، ويرفعوهم عن أيِّ ضلال هم عليه كيفما كان، وفي أيِّ مجال كان، وأنه يكون هناك عوائق موجودة في المجتمعات من أبرزها في المجتمعات العشائرية: زعماء العشائر، الوجهاء، يشكّلون إشكالية كبيرة؛ لأنه هكذا يكون حريصاً على مقامه، على منصبه، وعلى مصالح مُعيَّنة هي مرتبطة بأن يبقى هو وقومه على تلك الحالة، فيشدهم إلى الضلال حتى يكون في الأخير نهايتهم بسبب تعلقهم به. وهذا كله يؤكد أن الإنسان إذا اتخذ من دون الله أولياء فسيُهلكونه، ولا مجال للإنسان إذا أراد أن ينجو، وأراد أن يفلح، وأراد أن يفوز، لا مجال له إلاّ أن يتولى الله ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾(الأعراف:٣).

ثم يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِن نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إضافة إلى البينات يأتي أيضاً أشياء، شدائد مُعيَّنة في بداية تكذيبهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾(الأعراف:٩٤) عسى أن يرجعوا، وذكر بصورة بارزة فيما حصل لآل فرعون، فرعون وقومه، وإذا لم يضرَّعوا فمثلما قال في آية سابقة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾(الأنعام:٤٤).

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾(الأعراف:٩٥) فلم يبقَ إلاّ الحديث عنهم فقط (كان آباؤنا كذا، وحصل لهم سَنة مجاعة ذلك اليوم، وحصل كذا وكذا) قد أصبحت قصصاً ماضية. هذه الآية تشبه الآية السابقة، سُنة إلهية أن يؤاخذهم بأشياء من البأساء والضراء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾(الأعراف:٩٤) يرجعون إلى الله ويؤمنون بالآيات التي تُقدَّم لهم، ومتى لم يحصل منهم استجابة ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾(الأنعام:٤٤).

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا﴾ لم يعد هناك آثار للبأساء والضراء السابقة، أو أصبحت شبه منسية ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(الأعراف:٩٥).

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ هذه الأمم التي ذكر قصصها وغيرها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(الأعراف:٩٦-٩٩) هذا يُبيِّن بأن الناس لو اتجهوا إلى الإيمان بالله وتقواه واهتدوا بهداه أنهم سيحصلون على الخير الذي لا يُعتبَر استدراجاً، أمَّا الخير الذي يأتي أحياناً في مرحلة بعدما كذبوا، ثم رأوا أنها صلحت لهم الدنيا، ويظنون أنهم ليسوا بحاجة إلى أن يتبعوا هذا، ولا أن يحاولوا أن يتجهوا إلى هذا الذي يدعوهم إليه من الإيمان بآيات الله، مثل هذه الأشياء تكون استدراجاً: يؤخذون بغتة في حالة فرحهم، وفي وقت بياتهم أو هم قائلون، فالنعم التي هي نِعم ثابتة ومباركة هي النعم التي تأتي بسبب إيمان الناس بآيات الله وتقواهم لله.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا﴾(الأعراف:١٠٠) الأجيال المتأخرة التي قد عرفت ما حصل للماضين، أليس في هذا كفاية أن يجعلهم يهتدون إلى الطريق الصحيح، ويتجهون لهدى الله، ويخافون من الله؟ وهي آيات واضحة، يُبيِّن لهم أن ما حصل للأمم السابقة يمكن أن يحصل عليهم ﴿أَن لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾(الأعراف:١٠٠،١٠١) الله قد أهلكهم وهو يعلم بأن واقعهم لم يعد واقع إيمان، قد كذبوا بآيات واضحة، أتى لهم بأشياء فيما يتعلق بحياتهم، وصلوا إلى مرحلة: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

وبعض الأنبياء ذكروا، أحد الأنبياء في سياق آخر: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾(هود:٣٤) أحياناً بعد البينات الكافية، بعد الوضوح الكافي، بعد البلاغ المبين، ولا يستجيب الناس يُطبَع على قلوبهم، وعندما يُطبَع على قلوبهم فلا يأتي بعدها إلاّ نهاية سيئة؛ لهذا قال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ لن يؤمنوا بسبب تكذيبهم السابق بما أمروا أن يؤمنوا به ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾(الأعراف:١٠١).

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾(الأعراف:١٠٢) هذا حصل فيما يتعلق بقوم فرعون، لَمَّا أُعطُوا عهداً ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾(الأعراف:١٣٤) يُبيِّن أن هذه عدالة الله سبحانه وتعالى، عدالته أن هؤلاء الناس هكذا تأتي لهم آيات واضحة ورسل ناصحون، وبينات كافية، وفي الأخير لا يقبلون.

الله سبحانه وتعالى هو حي قيوم، يعرض هذه القصص للأمم المتعاقبة بما فيها المسلمون في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الناس في أيامه ومَن بَعدَهم، ولو قلنا بأنه قد لا تأتي المؤاخذة والعقاب بهذا الشكل الذي كان يحصل للأمم السابقة، هو قدَّم فيما قدَّم أن لديه أشياء متنوعة؛ لهذا قال في هذه الآية بعبارة مجملة: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾(الأعراف:٩٧) بأسنا، قد يكون بشكل رجفة، أو يأتي بشكل نار، أو يأتي بشكل يمطر حجارة، أو بشكل غرق، وكم... أشياء كثيرة. ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ وهم يعلمون أنهم على طريقة سيئة ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(الأعراف:٩٨) إلاّ من نهايتهم سيخسرون فعلاً.

يتكرر في القرآن بشكل واضح في سور أخرى نفس قصص هذه الأمم السابقة مع أنبيائها، هنا هي جاءت في هذه السورة بشكل موجز، ويُبيِّن فيها العائق الرئيسي الذي كان موجوداً، هذا معناه ماذا؟ بالنسبة للناس يكونون فاهمين من يتحركون في سبيل الله، من يدعون إلى دين الله، لا يُركّز دعوته على كبار الشخصيات؛ لأنه هنا يقول لك بأنه يرسل إلى القوم كلهم، إلى الناس جميعاً، وأنه على الرغم من تكذيب الآخرين هو يظل يواصل بينات، يظل يواصل دعوته لهم.

أيضاً يجب أن يحذر الناس أنفسُهم في تركيبتهم الاجتماعية ألاّ تصل إلى هذه الدرجة - لأن العرب أنفسهم في تركيبتهم العشائرية هي قائمة على هذا النحو السابق في أيام نوح، فيجب أن يحذروا ألاّ تصل الحالة بهم إلى هذه الدرجة - أن يتخذوا زعماءهم أولياء من دون الله، سواءً زعماء طوائف، أو زعماء عشائر، أو زعماء بلدان؛ لأن هؤلاء لا يملكون لهم إلاّ ضلالاً، هذه النوعية من الأولياء: أولياء مجرمون، يقولون: "البادي منه يقبل"[1] لن يدخل في الموضوع إلاّ إذا قد دخل فيه (شيخه) لن يدخل إلاّ إذا كان الزعيم الفلاني في مذهبه سيدخل فيه.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ﴾ أليس هذا جانباً آخر؟ جانب إرسال رسل إلى شعوب تحكمها دولة، ويحكمها سلطان، تلك السابقة مجتمعات عشائرية. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾(الأعراف:١٠٣) ومع هذا لم تكن دعوة موسى تقتصر على فرعون وملئه، لكن في التركيبة التي كان عليها المجتمع مرتبطون بالملك، تُوجَّه الأشياء إلى الملك رأساً، إضافة إلى أنها أشياء تتضح للباقين، كانت بينات موسى وآياته ودعوته بالشكل الذي يتضح للآخرين، بل يظهر أنه يأتي التدبير أن يَطّلع الآخرون على دعوته، على ما يُقدِّم من آيات، يُبيِّن هنا بأن هدى الله سبحانه وتعالى، البلاغ للناس الذي يأتي على الرغم من وجود العوائق، كيفما كانت العوائق، سواءً كانت العوائق في إطار مجتمع عشائري، أو في مجتمع يحكمه دولة، أنه لا يكون بالشكل الذي يحول دون أن يعرف الناس، جماهير الناس.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ﴾ الملأ: كبار الشخصيات في دولته، القادة والوزراء والوجهاء ﴿فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ

(١) البادي منه يقبل: هذه العبارة من اللهجة العامية، وتعني: أنه يظن أن بإمكانه أن يستجيب لله في أيِّ وقتٍ يشاء.

﴿عَلَى أَن لاَ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾(الأعراف:١٠٣- ١٠٥) أليست هذه تُعتبَر عبارة جريئة أمام فرعون؟ فرعون الذي كان يُلزِم الآخرين إلى أن يجعلوه إلهاً، ويدينوا بأنه رب لهم، موسى يأتي ليواجهه بهذه العبارة: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ لا يمكن أن أفتري عليه، لا يمكن أن أكذب عليه، مُلزَم بألاّ أقول عليه إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِن رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(الأعراف:١٠٥، ١٠٦).

لاحِظ هنا أليس موسى محاطاً بعناية إلهية؟ فرعون يتجه إلى أن يقول له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾ فرعون لم تكن طريقته بهذا الشكل، بل طريقته قمعية، كان المفروض أن يقول: خُذوه واقتلوه، كيف تقول لي هكذا: يا فرعون إني رسول من رب العالمين؟! يأخذونه ويقتلونه وليس فقط يسجنونه، فهذا مظهر من مظاهر بأن الله غالب على أمره، وأن بإمكان الناس أن يعملوا بدينه - إذا ساروا على طريقته - في أيِّ وضعية كانوا.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾(الأعراف:١٠٧) وعندما يقول له فرعون هكذا، أليس الشيء الطبيعي أن يلقيه في حضور آخرين من الملأ والحاشية وغيرهم ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف:١٠٧-١٠٩) وهناك يُبيِّن كيف يقول الملأ من قوم نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وغيرهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾(الأعراف:٦٦) و﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الأعراف:٦٠) وهؤلاء يقولون: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾(الأعراف:١٠٩، ١١٠) دعاية جاهزة يستثيرون بها الآخرين، قد أصبحت القضية واضحة محسومة لم يبقَ إلاّ ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ بعد هذه البينات: تتحول العصا إلى ثعبان مبين، ويده تتحول إلى أشبه شيء بالعمود الذي يضيئ.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾(الأعراف:١١١) لاحِظ كيف قراراتهم هنا، أليسوا بالشكل الذي عادة يبطشون بالآخرين؟ لاحِظ كيف أن الله يتدخل هنا ضدهم فيحمي أولياءه حتى يتمكنوا من تبليغ آياته، من تبليغ رسالاته، سواءً في أيام نوح، هود، ثمود. هذا قرارهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ بالنسبة لفرعون هناك ألم يقل سابقاً له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾(الأعراف:١٠٦) مع أن هذه ليست طريقته، هو جبار يفتك بالأطفال، فما بالك بهذا الشخص الذي أمامه يقول له إنه رسول إليه من الله، كذلك مَلَؤُه قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ اتركهم ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ونعمل اجتماعاً كبيراً وننظر كيف (قصة السحرة وذلك الحشد الكبير).

إذاً لاحِظ أليس هذا القرار بالشكل الذي يجعل موسى يتمكن من أن يُطلِع أكبر نسبة من الناس على هذه الآيات الإلهية؟ وموسى لا يملك وسيلة؛ لأنه في ظل وضعية ضاغطة بالنسبة للمجتمع، فيأتي من داخلهم هم يتخذون قراراً يحشدون له الناس مثلما حصل مع إبراهيم سواء.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾(الأعراف:١١٢، ١١٣) لأنهم هناك سيتحركون بأعلى ما لديهم من خبرة في مجال السحر، قد وعدهم بأجر، ووعدهم بأن يكونوا من المقربين ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا﴾ ذكر في موضع آخر بالنسبة لهذه القصة بأنهم حشدوا الناس حشداً كبيراً ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(الأعراف:١١٤- ١١٦) يُخيَّل إلى الناس - وموسى منهم - أن عِصيَّهم وحبالهم قد صارت عبارة عن ثعابين تتحرك.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾(الأعراف:١١٧-١١٩) وكانت هذه آية واضحة لفرعون وملئه وللناس، قد يكونون ربما آلافاً؛ لأنه هنا يبدو أنه استنفار عام من جانب الملك نفسه، قرار حكومي (بأن يحضروا إلى هذا المهرجان، يُعرَض فيه سحر السحرة، ويُعرَض فيه سحر موسى) وعلى أساس أنهم سيُفشِلون موسى تماماً ويفضحونه أمام الكل.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾(الأعراف:١٢٠-١٢٢) وهذه من الأشياء العجيبة: أن السحرة أنفسهم يتوفقون للإيمان، مازال فيها آية بالنسبة للناس، ربما لو لم يؤمن السحرة لقالوا: (إذاً فعلاً هو كان لديه قدرة سحرية، أو نحن قصَّرنا في جانب مُعيَّن، وممكن أن نلتقي في مهرجان آخر) لكنهم قد حشدوا كل ما لديهم، فعرفوا بأن ما عند موسى ليس قضية سحر، بل قضية إلهية.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ متى يمكن أن يأذن لهم؟! كيف يؤمنون له قبل أن يأذن؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾(الأعراف:١٢٣) ولاحِظ كيف لديهم تركيز على أن يقدِّموا بسرعة دعاية مُعيَّنة هي استفزاز للمجتمع: إذاً كنتم أنتم وموسى قد تواطأتم على هذه القصة، ومكر ﴿مَكَرْتُمُوهُ فِي

﴿الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:١٢٣) قالوا: كان فرعون يركّز في مواجهة رسالة موسى، يقول للمصريين: بأن موسى وبني إسرائيل يريدون أن يخرجونا كلنا من أرضنا ويبقون هم في الأرض، فيركّزون على هذه، وهي قضية تبدو مثيرة بالنسبة للمجتمع، مع أن موسى نفسه لا يقول هذا، بل يقول: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ أنا أريد أن أخرُج أنا وبني إسرائيل، ألم يقل هناك في البداية أن أرسل معنا بني إسرائيل؟ ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾ من البداية، أي: فهذه الدعاية التي كان فرعون يقدِّمها - أن هذا يريد أن يخرجكم من أرضكم - ليست صحيحة. موسى يقول من أول يوم بأنه هو الذي يريد أن يخرج هو وبني إسرائيل. هنا توعَّد السحرة، كان جوابهم بشكل عجيب، جواب مَن هم ثابتون، مَن هم مصرون على إيمانهم.

ولاحِظ بعد الآيات البينات كيف يأتي قرار الملأ (حاشيته من الوزراء، والقادة، وكبار الدولة): ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾(الأعراف:١٢٧) اتخذوا قراراً قد عملوه سابقاً.

هنا يُبيِّن كيف أن هذه النوعية أناس يقدِّمون أنفسهم وكأن الطرف الآخر (الذين هم المصلحون في الواقع) إنما يريدون إخراج الآخرين، يريدون الإفساد في الأرض بطريقة ليس هناك ما يدل عليها نهائياً. إذاً فعندما يصغي لهم الناس فسيهلكونهم؛ لأن رسالة موسى لم تكن فقط إلى فرعون، بل إلى فرعون وإلى المجتمع بكله.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(الأعراف:١٢٨، ١٢٩) أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، هنا يذكّرهم موسى بأن نفس الأذية القائمة الآن عندما تصبرون ستنتهي إلى شيء عظيم جداً ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ هذا يُبيِّن بالنسبة لموسى أنه يعرف وضعية قومه، يعرف حالتهم، فبعدما قالوا: ﴿أوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ هذه عبارة قاسية، نحن في مشاكل كثيرة من قبل ومن بعد، هو عارف بحالتهم قال لهم: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ ويعطيهم أملاً ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(الأعراف:١٣٠) كما قال سابقاً إنها سُنة لديه: أن يصيب الأمم ببأساء وضراء لعلهم يضرَّعون، كذلك بالنسبة لآل فرعون أرسل عليهم أشياء كثيرة، وبدوا على هذا النحو: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ نحن جديرون بها ﴿وَإِ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ ما أصابهم هو من عند الله، وأساسه وسببه مِن عندهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:١٣١).

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(الأعراف:١٣٢) نعوذ بالله من الضلال كيف يصل، هذه العبارة سيئة جداً "اقنعْ"[1] لن نؤمن بأيِّ شيء تأتي به نهائياً تُعتبَر خسارة كبيرة على أنفسهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائيلَ﴾(الأعراف:١٣٣، ١٣٤) وهذا عهد، هو قال سابقاً: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ﴾(الأعراف:١٠٢).

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف:١٣٥، ١٣٦) عندما تلحظ بالنسبة لجماهير الناس الذي جعلهم على هذا النحو: كونهم منشدِّين إلى ماذا؟ إلى كبار الدولة (فرعون وملئه) أمَّا بالنسبة للمجتمع - إذا فَهم المسألة ولم يتعلق بهؤلاء الكبار الذين هم مضلون - فممكن أن يؤمنوا، ممكن أن يستجيبوا، لكن خنقوا نفوسهم بماذا؟ عندما ربطوا أنفسهم بكبار العشائر، مثلما ذكر بالنسبة لقوم نوح، ومن يخنقون أنفسهم بالْمَلِك وملئه (كبار رجال الدولة).

قد يكون من مظاهر هذه ما يحصل عند الناس وقد تناولناها (المقارنة) في آيات سابقة، فهم يرون مثلاً الملأ (كبار الشخصيات في المجتمع) أناساً لهم ثقلهم، وأناساً لديهم إمكانياتهم، فيظنون أن هذا ربما إذا اتبعوه يمكن أن يقعوا في إشكاليات كبيرة، أو ربما ليس لديه ما ينجذبون إليه من الناحية المادية: باعتبار ما يتعلق بالمقام الاجتماعي، وما يتعلق بالإمكانيات، كذلك المصريون يقارنون بين موسى بما هو عليه - ليس لديه جنود، ليس لديه مُلْك، ليس لديه إمكانيات مادية - وفرعون وما هو عليه. هنا يُبيِّن في هذه القصة الأولى

(١) اقْنَعْ: من اللهجة العامية، وتعني: التيئيس.

مما ذكر من هذه الأمم كلها، من كان مجتمعاً عشائرياً، أو مجتمع دولة، أن هؤلاء ينتهون بأتباعهم إلى الخسارة (يخسرون) ينزل عليهم العذاب ويكونون هم في مقدمة من يهلك.

عندما تتمعن الناس فهذه الحالة ما زالت قائمة في الناس إلى الآن، المقارنة بين من يدعونهم إلى الهدى، تكون النظرة عندهم: ماذا يمكن أن يقدِّم؟ مع أنه في القرآن يُقدِّم بأن أولئك الذين كانوا يدعونهم إلى الهدى، اتضح بأنهم كانوا ينجون هم ومن آمن معهم، والآخرون الذين كانوا يعتبرون أنهم يشكّلون حماية، يشكّلون وقاية لمكانتهم وممتلكاتهم أنهم الذين يؤدون بهم إلى الخسارة، ألم يتضح من خلال ما سرده من هذه القصص؟

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾(الأعراف:١٣٦، ١٣٧) هذه ترد في إطار الصور التي تقدمها هذه السورة نفسها، قضية أولياء من دون الله، كيف يكونون في الأخير خاسرين هم والجماهير الذين يتبعونهم ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ من بني إسرائيل الذين عانوا فترة طويلة من هذا العذاب الأليم: تقتيل الأبناء، واستحياء النساء.

لاحِظ موسى ذكّر بني إسرائيل لم يعطهم عبارة - يبدو - واضحة تماماً؛ لأنه مطلوب أن يبقى عند الإنسان ثقة بالله ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أليس هذا وقع في الأخير؟ فعلاً أورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها، وآل فرعون انتهوا، فرعون وملؤه وكل هؤلاء (كبار الدولة) الذين كانت تقع منهم قرارت سيئة، الذين جعلوه يتخذ هذا القرار فيما بعد: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الله جعلهم في الأخير هم يهلكون ويورثهم أرضهم.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ ولاحِظ هنا مع أن الله أنقذهم من طغيان شديد، من طغيان قد يكون عند الكثير منهم، كأنه ليس هناك أيُّ بصيص أمل بأنه ينفك على الإطلاق، فيأتي بطريقة لم يدخلوا حتى في مواجهة معهم، هم كانوا مساكين مستضعفين إلى آخر درجة، لم يدخلوا في مواجهة مع آل فرعون، لكن يقول لهم: اصبروا، يبقون معه كقاعدة جماهيرية له، مؤمنون به، يصبرون، ولكل أمة أجل، كما قال الله سابقاً، وأعطاهم أملاً كبيراً: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

الصبر أساسي، الصبر في طريق الله هو الأساس في ماذا؟ في أن يحصل للناس فرج، وهذه هي تُعتبَر مثالاً واضحاً، فرعون وواقع بني إسرائيل، طغيان في القمة، استضعاف إلى أحط مستوى، حركة لا يوجد معها أيُّ آلية سوى عصا، أليست عصا من البداية؟ عصا من البداية، وتنتهي فعلاً إلى أن هذا الإنسان الذي كان يراه الفراعنة والمصريون إنساناً فقيراً ولا بيده شيء، أنقذ قومه أمامهم وهم يرونهم، ورأوا أنفسهم في أعماق البحر.

يَخلُص الإنسان من هذه القصة كلها بأن على الناس أن يتولوا الله، كما قرأنا في سورة (المائدة): ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(المائدة:٥٦) عندما يقول: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ قد بيَّن في هذه، ألم يُبيِّن كيف نجا من تولوه؟ ومن اتخذوا من دونه أولياء كانوا يرونهم كأنهم يشكّلون حماية، يشكّلون وقاية، يقدمون هدى، وأشياء من هذه، كما كان فرعون يقول لقومه، انتهوا، ضُرِبوا وخسروا في الدنيا وفي الآخرة.

إذاً من الناحية المنهجية هذه السورة تُقدِّم لنا منهجاً لمن يعملون، تُقدِّم منهجاً على أن القضية الأساسية هي معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفته وشد الناس لتوليه، وتقديم المسألة بالنسبة للناس بأنه لا يوجَد هناك أيُّ خيار أمامهم، أمام الناس جميعاً إلاّ: إمَّا أن تكون متولياً لله، أو متخذاً من دونه أولياء. هذه صورة لمن يتولون الله، وهذه الصورة البشعة لمن يتخذون من دونه أولياء كيفما كانوا بشكل أولياء؛ لأن هذه قضية بالنسبة للناس، هم بحاجة إليها، يُقَدَّم - مثلاً - هذا قصص قرآني، ما لدى الناس من تاريخ هذه الأمة من أشياء تُقدَّم على هذا النحو، تُقدَّم للناس على هذا النحو: تُقدَّم عبرة، ولاحِظوا هنا العبرة أليست بالشكل الذي تدفع، تجعلهم يتجهون عملياً، يتجهون عملياً إلى ماذا؟ من يقرأ هذا القصص القرآني عن الأمم السابقة يتقرر في نفسيته بأن الطريق الصحيح الذي يشكّل نجاة في الدنيا والآخرة هو تولي الله، أليس سيتجه إلى تولي الله؟

التولي تجده في الأخير قضية عملية، أليس هو يمثل هناك الأثر النفسي للتاريخ إذا قدِّم على هذا النحو

أنه يوجِد دفعة عملية، يوجِد عند الإنسان رؤية واضحة ورؤية ثابتة أن يكون مستقيماً، وليس هناك إلاّ هذا المجال حتى لا ينحرف، إذا انحرف وقع في طريق الشيطان وأولياء الشيطان، وهم خاسرون على ما قدمهم هنا، وفي داخل الأمة أمثلة في تاريخنا، في تاريخ المسلمين، والآن يوجد أمثلة، أمثلة في الواقع، بل في هذا العصر نفسه أمامنا، فيما يعمل الأمريكيون، وفي مواقف الشعوب الأخرى، ومواقف الناس، تتجلى الخسارة فعلاً، عندما كانوا يتخذون آخرين أولياء، كيف أنهم لم يشكّلوا لهم أيَّ حماية، ورأوا أنفسهم أمام أعداء، سواءً كانوا نفس العدو السابق مثلاً (صدام) بالنسبة للعراق و(حزب البعث) ثم الأمريكيين من بعدهم يدوسونهم.

نفهم - أيضاً - بأنه غير صحيح أن هناك أيَّ عائق على الإطلاق يحول بين الناس وبين أن يقدِّموا دين الله، هذا من أبلغ ما يمكن أن يستفيده الإنسان من رسالة موسى وهارون إلى فرعون وهامان وجنودهم، أنه يأتي رعاية إلهية، ولا يمكن لأيِّ طرف حتى وإن لم تكن أنت تمتلك وسائل جمع الناس، ووسائل إعلامية، يأتي قرار من عند الطرف الآخر يكون بالشكل الذي يجعل موضوعك يُقدَّم على أوسع دائرة من الناس.

ربما مثل هذا الموضوع الذي نحن فيه (موضوع الشعار) أليسوا هنا يعتقلونهم في (الجامع الكبير) ويبدو أنه لا يوجَد تناوُل صحفي له؟ ثم لا تدري إلاّ وقد بدأ أناس يتحدثون عن أمريكا، قد حصل ميل لأمريكا، قد حصل تأثير كبير وضغط كبير، قد صار هناك ناس يقولون: (أمريكا يمكن أن تحرر)! فليقل الآخرون: (كيف يمكن أن تكون محرراً وهم كانوا يعتقلون من يرفعون شعاراً في المسجد، وهم كذا كذا؟!) ثم لا تدري إلاّ وهم يتحدثون، قد أصبحت مادة إعلامية يحتاجون إليها، حتى ربما الذين يقومون بالإمساك بهم أنفسهم من نفس الحزب الحاكم.

نحن لا نمتلك لا مجلة، ولا صحيفة، ولا قناة فضائية، ولا إذاعة، ولا أيَّ شيء، لكن هنا يتهيأ أنه يُنشَر بطريقة وربما يفتح الموضوع فيما بعد ويُقدَّم كبرهان على أن أمريكا لا يمكن أن تعطي الناس حرية، يقولون: لاحِظوا هم كانوا يعتقلون (المكبِّرين) في المسجد، أليسوا هنا سيُشيعون الموضوع؟ هذه حصلت في قصة إبراهيم عندما اتخذوا قراراً بأن يجمعوا الناس لعلهم يشهدون، وهنا اتخذوا قراراً، نعرف أيضاً بأن الله غالب على أمره، ومهيمن على عباده، وينفذ إلى داخل نفوسهم؛ ليتخذوا قرارات بالشكل الذي يخدم قضية أوليائه.

لاحِظ القرار السابق عندما قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ وهم في الواقع بشعون، لاحِظ القرار الأخير: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ أليسوا هنا يُحرِّضون؟ ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ ما الذي جعلهم يتخذون سابقاً قرار ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾؟ مع أنهم قد رأوا آيات - هم ربما لديهم معرفة بالنسبة للسحر - آيات واضحة أنها تُعتبَر حالة خطيرة، أنها مظنة أن يُفضَحوا فيها، لكن الباري هو ينفذ في قرارات الناس سواءً أولياءه أو أعداءه.

والمشكلة أن الناس يَعتبِرون وكأن أعداءه يستطيعون أن يخططوا ويدبِّروا ما يريدون، ويمكروا كما يريدون وأن كل شيء سيُنفّذ لهم؛ لهذا في الأخير يكون عند كثير من الناس قرار بأنه (لا نعمل شيئاً؛ لأنهم لديهم كذا، وهم، وهم...إلخ) نحن ننسى بأنه يُقدِّم أمثلة بأنه يَنفذ إلى داخل قاعاتهم التي يتآمرون فيها، ثم في الأخير يتخذون قرارات أخرى ويقدمونها وكأنها قضية ينطلقون عليها سريعاً، ورؤية سياسية صحيحة، وهي في الواقع لصالح من يتحركون في سبيله.

أيضاً يأتي في موضوع هذه المعجزات والآيات أنها تكون بالطريقة التي تمهد السبيل لأن تصل رسالته إلى أكثر ناس، مثل معجزة موسى في موضوع العصا وتحولها إلى ثعبان، وأشياء من هذه، وفي المجتمع سحرة، حصلت هذه الفكرة: (هذا الذي لديك سحر، سنجمع السحرة كلهم ونعطيهم إغراءات كبيرة، ونجمع الناس ونفضحك أمامهم) ألم يقولوا هكذا؟ إذاً بالنسبة لواقع الناس اليوم لا أعتقد أنه يوجَد طريقة الآن أجمل من تقديم القرآن؛ لأن واقع الأمة الآن أن هناك من يحاول أن يقول بأنه سيقدِّم حلولاً، من جهة الأعداء أنفسهم، أليسوا يحاولون أن يقدموا حلولاً؟ والساحة هنا ضائع فيها ما هو الحل؟ ما هو المخرج؟ أليس هذا هو الضائع؟ إذاً عندما يُقدَّم القرآن أول شيء سيراه الناس فعلاً بأنه الشيء الذي لم تسر عليه الحياة إلى الآن في تاريخ هذه الأمة، ويجدون أنفسهم بأمسِّ الحاجة إليه، كمخرج أمام العدو.

إذاً فالقضية أن المطلوب بالنسبة لنا جميعاً بأنه كيف نثق فعلاً بالمسألة على هذا النحو؟! نقول: كل ما بين أيدينا قد جُرِّب، كل ما بين أيدينا من طرق أخرى قد جُرِّبت، وأخفقت، ولم تترك إلاّ آثاراً سيئة، كتب تفسير، وحديث، وأصول فقه، وعلم كلام، وكتب ترغيب وترهيب، وهذه الأشياء كلها، مذاهب متعددة جُرِّبت، نظريات أخرى جُرِّبت، اشتراكية، علمانية، ليبرالية، رأسمالية، هذه الأشياء كلها جُرِّبت وأخفقت، أليست كلها جُرِّبت وأخفقت؟ إذاً قد نكون نحن ربما من أكثر الناس إمكانية أن نقدِّم القرآن للآخرين، أول شيء بالنسبة لنا ليس لدينا عوائق كبيرة بحيث أنه مثلاً تجعلنا نؤقلم القرآن على أساس رؤى سابقة لدينا، أعتقد هذه قد تكون

موجودة عند الآخرين تقريباً عند الطوائف الأخرى إشكالية، لكن في حركة الحياة في هذه المرحلة، هناك ما يكشِف لهم ما هم عليه بأنه لم يعد يُقدِّم حلاً، أمَّا عندما يحصل مثلاً هجمة ثقافية مليئة بالشبه، ربما قد تجعلهم فعلاً يتنكرون لأشياء كثيرة، فيكون الشيء الوحيد المقبول هو القرآن، هو القرآن.

نحن قد تكون جريمة كبيرة بالنسبة لنا إذا لم نقتنع بالقرآن بصِدْق، والله أعلم كم بقي من عمر الدنيا، لا أحد يدري كم في أعمارنا، وكم في عمر هذه الدنيا بكلها، لماذا لا نحاول أن نتمسك بالقرآن بصدق، ولا نعتمد على أيِّ تثقيف آخر سواه مهما كان، وهنا ألم يُقدَّم لنا بشكل لم يعد بعده إلاّ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾(الأنعام:١٥٨) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾(الأعراف:٥٣)؟ أي: آيات كافية، ومعنى كافية، في كل ما تناولته.

هذه القضية يجب أن ننطلق منها بصدق، عندما يقول واحد: (لكن ما زال هناك، وما زال هناك)! لا يوجد، فقط أنت ما زلت مرجوجاً[1] أو يكون الواحد قد دخل فقط برأس قدَمه وقدَم ما زالت متشبثة بطريقة سابقة. فعندما نتحرك على هذا النحو فعلاً، ربما قد لا يكون - فيما أعرف - في هذه المنطقة العربية نفسها ربما لا يوجد طائفة ولا شعب عنده فرصة أن يتحرك على أساس القرآن مثلما عند الناس هنا في اليمن، فعلاً مقومات كثيرة ليست متوفرة في أيِّ شعب آخر، فقد تكون خسارة كبيرة جداً علينا في المقدمة إذا لم نتحرك على أساس القرآن، إذا لم نقدِّم القرآن للناس، نقدِّمه على أعلى مستوى، أول شيء نلتزم نحن.

عندما نقول: نقدِّم، نعرف كيف هداه، ثم كيف نتحرك على أساسه ونحن نقدِّمه للآخرين، وتجد الآخرين فعلاً الآن لم تعد الديمقراطية جذابة لديهم، هل أحد ممكن أن يقاتل من أجل الديمقراطية الآن؟ من يمكن أن يقاتل من أجلها؟ ولا أحد، أعتقد لا جيش، ولا شعب في أيِّ بلد عربي الآن، اتضح لنا أنهم قد ملّوا منها، بقي القرآن، والقرآن عندما يُقدَّم قُبِل الإسلام نفسه، يُقْبل الإسلام؛ لأن الإسلام قد شوِّه حقيقة؛ ولهذا نقول: إنه شيء مؤسف أننا لا نسمع في وسائل الإعلام، لا تسمع أنهم يحاولون أن يقدموا حلولاً أخرى، وتحليلات كثيرة، لا يوجد تقديم بأن الإسلام يمثل حلاً! لا يوجد كلام حول القرآن نفسه!

لو قال بعض: (القرآن) فسيقدمه بطريقته التي هو عليها، يقدمه ولديه رؤى أخرى يحكِّمها على القرآن، وقدَّم القرآن لا شيء، لا يُقدِّم للناس شيئاً.

خلال هذه السور التي قرأناها ألم نجد القرآن ممكن أن يعطي أشياء كثيرة جداً؟ الإنسان يفهم بأنه يمكن أن يكون هناك صراط مستقيم، تكون أشياء واضحة، تكون أشياء واضحة فعلاً، يوضح لك الأعداء، يوضح لك الطريقة الصحيحة، يوضح لك كيف يمكن أن يكون تأييد إلهي لمن يسيرون على هداه، يوضح لك بأن الله غالب على أمره، لا يمكن لأيِّ جهة أن تعيق من يتحركون في سبيله مهما كان إلاّ أن يعيقوا سبيله هم، فتأتي السُّنة الأخرى: يستبدل بهم غيرهم.

كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: إنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله، يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾(النساء:١٣٥) قضية ﴿شُهَدَاءَ﴾ هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم منا (زيود) وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن الأمريكيين: إن معهم عناصر كثيرة تتحرك، وتعمل استبياناً للناس، من يسيرون على القرآن يجب أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها عشوائية، ولا كل واحد يسير على هواه، ولا كل واحد "شوره من قرنه"[2] كما يقال.

نحن نقول: هذه من الناحية العملية مهمة جداً - الأمريكيون يعملون استبياناً - نحن أمام فئة كلما وجدوا الناس أقوياء ضعفوا هم أمامهم، لا تتصور أن الأمريكيين معناه عندما يرون الناس أقوياء ومنضبطين ومصرين على ما هم عليه ولديهم صمود، أنهم لن يضعفوا، لاحِظ مظهر هذا السجن كل أسبوع يُعتبَر إيجابياً كبيراً بالنسبة للناس في تأثيره على نفوس الأعداء، على الأمريكيين والإسرائيليين أنفسهم، أمام أمة صامدة، وكما قلنا سابقاً: نحن في مرحلة يجب أن نُقدِّم - وليس على أساس أنه عنوان حزب، أو عندنا قيادة محنكة، أو عندنا شخصيات محنكة - قرآناً، هذا دين الله؛ لأنه هو القضية الغائبة، البلاد العربية مليئة بالمحنكين، ومليئة بالمفكرين، والقادة، لكن الشيء الغائب هو ماذا؟ أن يلمسوا أثر دين الله، أثر القرآن، وكيف يكون الناس الذين يهتدون بهداه، هذه القضية أساسية ننطلق فيها.

ولا تأتي الشهادة لله إلاّ عندما يكون الناس يتحركون في سبيله، وبطريقة معلنة، في سبيله، عندما نهتدي

---

(١) مرجوج: تعني هنا: مضطرب.

(٢) شَوْره مِنْ قَرنه: من اللهجة العامية، وتعني: رؤيته مبنية على هواه.

بهداه، نسير على كتابه، انظرْ كيف تكون النتائج؟ عندما يكون الناس بهذا الشكل يكونون محط تأييد إلهي، محط عون إلهي، وفعلاً الناس، هذه الأمة بأمسِّ الحاجة إلى القرآن، ولكن مَن يُقدِّم لها القرآن؟ هذه المشكلة هنا، أنا لا أتصور أن هناك طائفة أخرى، افهموا هذه - على معرفتنا بالطوائف - لا أتصور أن هناك طائفة أخرى يمكن أن يأتي من داخلها ممن هو متمسك فعلاً بما هو سائد في طائفته يُقدِّم القرآن بشكل إيجابي، أحياناً بعض الطوائف لا يمكن أن يجرؤ شخص منها على أن ينقد نفسه وينقد مجتمعه وينقد طائفته، هذا نادر، بعضهم قد ينقد في مجال وهو ما زال "مُخربط"[1] في مجال آخر. نحن لدينا إمكانية أن ننقد الآخرين جميعاً، ننقد ما كنا متشبثين به من أشياء اتضح بأنها مخالفة لكتاب الله داخلنا كزيدية، داخلنا كشيعة، مع الاثنا عشرية، مع طوائف السنة. (محمد حسين فضل الله) نفسه عندما نقد أشياء مُعيَّنة عملوا عليه ثورة ثقافية وحملة دعائية رهيبة.

بعض الناس قد يكون فعلاً يتأثر، نحن قلنا من البداية: يجب أن نوطّن أنفسنا على هذه، وأنها قضية أساسية فيمن قال الله عنهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ لأنه قال بعد: ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾ (المائدة:٥٤) أنهم لو يقولون ما يقولون، قد يعملون فتاوى، يعملون بيانات، يعملون ما يعملون، طريقة لن يتزحزح الناس منها نهائياً، وهذه هي طريقة القرآن نفسه كيف قدِّم في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كانوا يقولون: (ساحر، كذاب، مجنون، مفترٍ على الله، أساطير الأولين) أشياء كثيرة جداً، ولم يبالِ بها، واتجه في طريقه ونجح.

الاهتداء بالقرآن - كما نقول - يجب أن نقدِّمه للناس بالشكل الذي يعطيهم أملاً، أي: كيف رؤية الإسلام في بناء الأمة، هذه قضية، كيف رؤية القرآن في بناء الأمة، تبدأ منا نحن، عندما نقدِّمه في أوساطنا، لا تبقى عبارة: (كتاب وسنة) كما هو سائد، أليس هو السائد في المجتمع (كتاب وسنة)؟ لكن قد أصبحوا عارفين أن كل واحد يرجع إلى الكتاب يأخذ منه الذي على كيفه وخرج ولم يُقدِّم شيئاً، والآخرون مثله، قد ملّوا هذه الكلمة، كيف تُقدِّم رؤية يفهم الناس فعلاً بأنها رؤية بنّاءة للأمة، تمثل حلاً أمام الخطورة الكبيرة التي تواجههم.

القضية هي تحتاج إلى تسليم، مثلما ذكر الله في كثير من الآيات السابقة، ونحن لم نقرأ إلاّ إلى سورة (الأعراف) فقط، كم يوجد داخل كتاب الله بشكل كبير موضوع التسليم لله، والتسليم لله بمعنى أنه يجعلك تنضبط، وتعرف كيف تسير على هداه، وإذا ما زال عند الشخص نفسه أنه يريد أن يُقدِّم نفسه هو شخصياً، يريد، يريد، يريد أن يكون هو الذي يعرف هو، هو الذي لازم بطريقته هو، وأنه عبقري، وأنه، وأنه. هذا الذي عانت منه الأمة إلى الآن، هذه الفكرة هي التي عانت منها الأمة إلى الآن، والدنيا مليئة بالمجتهدين والمفنقلين[2] والعباقرة، ولم يعملوا شيئاً، ولم يقدموا للأمة أيَّ حل نهائياً.

قُدِّم الموضوع أنه بالشكل الذي يُعطي الناس معارف واسعة، ليس معناه أنه بشكل يجعل الأمة أناساً جهلة، بل تعطيهم معارف واسعة، وحكمة، وتزكية للنفوس في إطار بناء صحيح، أليست هذه رؤية القرآن نفسه؟ فعلاً. فعندما يرى أحد أنه لم يستطع أن يُقدِّم القرآن تماماً، ويفهم منه تماماً مثل فلان أو فلان، فليُفهم بأن القضية ليست على أساس أنه هو لا قيمة له عند الله، إن الله من أجلك ومن أجل هذا ومن أجل الآخرين الله يعمل هذه الطريقة: يصطفي نبياً، اصطفى رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليكون على أعلى مستوى؛ ليقدِّم ما عنده من مؤهلات وما عنده من علم ومعرفة كلها للناس، أليس كذلك؟

نحن نقول: إن القضية أن نسلِّم أنفسنا لله، نحصل على المعرفة، على العلم، على نفوس زاكية، إذا برز الإنسان بنفسه سيخسر علماً كثيراً ومعارف واسعة، ستفوتك معارف كثيرة جداً عندما تنفرد بنفسك؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وهو الذي يؤتي العلم هو، أنت تريد من جهة نفسك أن تحصل على علم من جهة نفسك فيما يتعلق بموضوع الهداية والثقافة، بدل ماذا؟ أن تخسر من هو محيط بكل شيء علماً ومن قال لنبيه: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) أليس رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إنساناً اصطفاه الله وأكمله؟ ويعلمه بأن عليه أن يتوجه إلى الله؛ ليحصل على العلم من عنده هو ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وأعتقد في هذا الكفاية إلى الآن - لأن الكثير ربما قد يسافرون الصباح - أنه قد اتضح لنا من خلال الذي قد قرأناه من القرآن، وهي سور محدودة من (البقرة) إلى أول سورة (الأعراف) وهو لا يزال نسبة بسيطة من القرآن، ألم يتضح لنا عظمة القرآن؟ اتضح لنا فيها سعة ما يتناوله، اتضح لنا فيها أنه ملامس لواقع نفوس الناس، وحياة الناس، أنه كتاب حياة، اتضح لنا فيها بأنه لم يُقدَّم كدستور مفصول عمَّن قدَّمه، كما هو شأن الدساتير التي تُصاغ في الدنيا، قد تقرأ أيَّ دستور من الدساتير ولا تدري من هو الذي كتبه، الذي صاغه يعرف أنه ليس هناك ارتباط بشخصه، هو يُقدِّم قوانين، مواد، مادة كذا، مادة كذا...إلخ.

القرآن ألم نلمس بأن فيه (الله) بشكل واسع؟ أي: اسمه في داخله بشكل واسع، توجيهاته، وليس مشابهاً

(١) مخربط: من اللهجة العامية، وتعني: مخبوص.

(٢) المفنقلين: مأخوذة من الْفَنْقَلَة، وهي مأخوذة من قولهم: (فَإِنْ قِيل).

للدساتير والقوانين، ماذا يعني هذا؟ أن الذي أسماؤه داخل القرآن هو الحي القيوم، أي: أن القرآن غير مفصول عنه على الإطلاق، غير مفصول عنه نهائياً.

إذا فهمنا هذه القضية، وحاول الإنسان أن يدعو الله في بقية هذا الشهر، ندعو الله أن يهدينا، أن يبصرنا، أن يرشدنا بكتابه، أن يعيننا على أن نهتدي بكتابه، أن يعيننا على أن نقدِّم كتابه للآخرين ليهتدوا به، هذا هام جداً في بقية هذا الشهر؛ لأنه من أفضل الأوقات للدعاء. وليهتدي الإنسان هو نفسه ونحن نقول: هي قضية أساسية فيما بينه وبين الله، أي: افهم بأن باستطاعتك أن تعمل هذه، ليس على أساس أنك منتظر ماذا يمكن أن يأتي من كلام، ثم بعد تنظر هل تقطع مع الله فيما بينك وبينه، التزام بأن تسير على هداه، وتسلم نفسك له؟ هذه القضية بإمكان الإنسان أن يبدأها حتى من بعدما يسمع (الفاتحة).

إذا كان على هذا النحو يمكن فعلاً أن يحصل على هدى، ويهتدي، أمَّا إذا قعد هكذا ما زال مُرجِّحاً، ما زال منتظراً (ينظر كيف؟) حتى ينتهي الموضوع، في الأخير ربما ينتهي الموضوع ولا يهتدي، ثم عندما ينتهي القرآن وقد قدم لك بطريقة هامة، ما هو الذي ما زلتَ منتظراً أن تهتدي به ولم يعد بإمكانك أن تهتدي به؟! ربما فعلاً قد لا يهتدي الإنسان. القضية تكون من البداية يستطيع الإنسان بأن يقطع مع الله بالتزام - ويطلب منه أن يُعينه - أنه سيهتدي بهداه، ويسير على ما هداه إليه كتابه. الله يوفقنا جميعاً لِمَا فيه رضاه، ويعيننا على طاعته، ويهدينا إلى الصراط المستقيم.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ